التصور الإسلامي للإنسان

دراسة أدبية

د. نجلاء عبدالمطلب عبدالرحيم

مدرس الأدب والنقد

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

جامعة الأزهر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد الصادق الوعد الأمين، عليه وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين، وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فإن الأدب الإسلامي حبيب إلى الفطرة السوية، ممدود بتصورات حقيقية، وحقائق جلية، يرتقي بالنفس إلى درجة علية، ينفي عنها جميع الأدواء، ويُقدم لها ناجع الشفاء، ويسير بها في طريق السلامة، ويُنقذها من مراتع الهلكة والندامة، يَصلُ بها إلى الطموح الدنيوي، ثم يَعلو بها إلى الطموح الأخروي، كل ذلك من خلال تصورات دقيقة، وأفكار عميقة تتقدم ببني الإنسان في طريق المعاني الإنسانية، والقيم الربانية مما استقر في قرائح الشعراء المعنيين، وتحرك في وجدان الأدباء الربانيين، واستكن في ضمائر الدعاة والمصلحين، فجاءت المعالجات الشعرية في الطريق الذي رسمه رب البرية، تُعرِّف الإنسان بنفسه وقلبه، وعقله، وجسده وروحه وظاهره وباطنه، وحاضره، ومستقبله، فلا تتخبطه الظلمات، ولا يخشى ما هو آت، بل تحقق له معرفة الذات، وتنطلق له جميع القدرات والطاقات.

ومن هذا المنطق كان هذا البحث مجلياً لثمانية تصورات تُعرِّف الإنسان بالذات والقدرات والطاقات والثغرات والخطوات والمعالجات، وكانت التصورات المُعرِّفة على النحو التالي:

- الإنسان جسد وروح.
- الإنسان موصوف بالرقي والتقدم.
- الإنسان ظلوم كفار محب للشهوات.
- الإنسان يصارع نفسه.
- مكانة الإنسان في الإسلام.

- الإنسان في الأخوة الإنسانية والإسلامية.
- الإنسان والواقع.
- الإنسان والاضطرابات النفسية.

هذا وقد جمعت في كل تصور بين ما ورد فيه من كلام الشعراء وبين ما هي أصول هذا التصور مما ورد في كتاب الله العزيز بياناً للحقيقة وتوسعة للطريقة حتى يكون التصور في بابه هادياً، وإلى الخير والنفع داعياً، وعن ضد ذلك واقياً.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

د. نجلاء عبدالمطلب عبدالرحيم

مدرس الأدب والنقد

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

جامعة الأزهر

التصور الإسلامي للإنسان

رسم الإسلام للإنسان منهجاً واقعياً تنطبق حدوده على حدود طاقات الإنسان وتكوينه، فالإسلام يأخذ في اعتباره فطرة هذا الإنسان، وطاقاته واستعداداته وفضائله ورذائله وقوته وضعفه، لأن الإسلام وحده هو الذي يملك أن يصل بالإنسان إلى أرفع مستوى وأكمل وضع يسمو إليه في أي زمان وفي أي مكان(١).

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة عن التصورات الإسلامية للإنسان، وهي على النحو التالي:

١ ـ الإنسان جسد وروح:

الإنسان في التصور الإسلامي جسد وروح، أو قبضة من طين ونفخة من روح الله ولا تتم إنسانية الإنسان إلا بهذين العنصرين، ولا يتحقق كماله إلا بتوازنهما، فليس للمسلم أن يبخس الجسد حقه ليزيد من حق الروح، وليس له أيضاً أن يبخس الروح حقها لمرضاة الجسد(٢).

والإنسان يحقق رسالته في الأرض، ويحقق أفضل ما يستطيعه، ويحقق كثيراً من الخير، حين يكون على طبيعته المزدوجة: قبضة الطين ونفخة الروح، ومقتضى هذا الامتزاج في مفهوم الإسلام أن الإنسان يقضي ضروراته الأرضية الحيوانية على طريقة الإنسان لا على طريقة الحيوان، ويحقق أشواقه الروحية الملائكية على طريقة الإنسان لا على طريقة الملاك(٣)، فهو وسط بين هذا وذاك.

وهذه هي الركيزة الأولى من ركائز التصور الإسلامي للإنسان وقد رسم القرآن الكريم هذا التصور الإسلامي للإنسان من خلال قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا

---

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته تأليف/ سيد قطب، ط دار الشروق، ص١٨٢، ١٨٣ (بتصرف).

(٢) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د/ عبدالرحمن رأفت الباشا، قدم له فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي، ط دار الأدب الإسلامي، ص١٣٧.

(٣) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ط دار الشروق، ص٣٤.

مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ»[١].

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»[٢].

وقوله تعالى: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ»[٣].

وقوله تعالى: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»[٤].

وقد تناول الشعراء قديماً وحديثاً هذا التصور المتوازن مقتبسين مما جاء من ذلك في القرآن الكريم، وقد عبر عن هذا "أبو بكر[٥] بن طفيل"، إذ يقول[٦]:

يا باكياً فُرْقَةَ الأحباب عَنْ شَحَطٍ* هلا بكيتَ فراقَ الروح للبدن

---

(١) سورة الحجر: الآيتان (٢٨)، (٢٩).
(٢) المؤمنون: الآيتان (١٢) إلى (١٤).
(٣) السجدة: الآيات (٧) : (٩).
(٤) ص: الآيتان (٧١)، (٧٢).
(٥) "هو الطبيب الفيلسوف أبو بكر محمد بن طفيل، كان طبيباً ومستشاراً لسلطان الموحدين يوسف بن عبدالمؤمن، وكان متحققاً بجميع أجزاء الفلسفة، قرأ على جماعة من علماء الفلسفة منهم ابن باجة، له تصانيف فلسفية كثيرة من الطبيعيات والإلهيات من أشهرها رسالة حي بن يقظان، وكان متبحراً في العلوم الدينية، توفى سنة ٥٨١هـ". "المعجب في تلخيص أخبار المغرب تأليف الشيخ محيي الدين أبي محمد عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي، ط بريل مدينة ليدن عام ١٨٨١ ص١٧٢ بتصرف".
(٦) المرجع السابق، ص١٧٤؛ والأبيات من بحر البسيط.
(*) الشحط: البعد (مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، ط دار القلم، بيروت، لبنان،مادة ش ح ط) ص٣٣١.
دخن: فساد (مختار الصحاح، مادة دخن، ص٢٠١).
الغبن: غبنه في البيع خدعه (مختار الصحاح مادة غبن، ص٤٦٨).

نورٌ تــردَّدَ فــي طــينٍ إلــى أجــلِ فانحاز عُلْواً وخَلَّى الطــينَ للكفَــنِ
يا شدَّ ما افْتَرَقا من بعد مــا اعتَلَقــا أظنُّها هُدْنَةً كانــتْ علــى دَخَــنِ*
إن لم يكنْ في رِضا الله اجتماعُهمــا فيالَها صَفْقَةً تَمَّــتْ علــى غَــبَنِ*

فهو يعظ: "من يبكي على أحبابه حين يخطفهم الموت قائلاً: أتبكي لفراقهم ولا تبكي لما ينتظرك من فراق الروح للبدن؟! وكأنما كانت الروح نوراً تردد وقتاً فــي طــين الجســد، ثــم تسامى عنه عُلُوًا وخلَّاه للكفن، وإنها لفرقة شديدة بعد امتزاجهما طول الحياة، وكأنمــا كانــت بينهما هدنة غير صافية، إن اجتماعهما وامتزاجهما إن لم يكن في رضا الله كــان صــفقة أو بيعة خاسرة"(١).

وفي هذا التوازن الجامع بين المادة والروح، قول (النابغة الجعدي(٢))، متأملاً في خلــق الله سبحانه وتعالى للإنسان(٣):

الخَالق البَاريءِ المُصَــوِّرِ فــي الْ أَرْحَام مــاءً حَتَّــى يَصِــيرَ دَمَــا
مــن نُطْفَــةٍ قَــدَّها مُقَــدّرُهَا يَخْلُقُ مِنهَــا الأَبْشَــارَ والنَّسَــما*

(١) تاريخ الأدب العربي، د/ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات الأندلس، ط دار المعارف، الطبعــة الثانية، ص٣٥١.
(٢) "هو قيس بن عبدالله بن ربيعة يكني أبا ليلى، كان شاعراً مفلقــاً طويــل البقــاء فــي الجاهليــة والإسلام، وهو أحد المعمرين يقال إنه عاش من العمر مائتي سنة وقيل أقل من ذلك، وكف بصره بعد أن أسلم وحسن إسلامه وبلغ إلى فتنة ابن الزبير ومات بأصفهان وهو أحد نعــات الخيــل". (معجم الشعراء للإمام أبي عبيد الله المرزباني، صححه الأستاذ الدكتور/ ف.كرنكو، ط دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ ــ١٩٩١م، ص١٧٦ بتصرف).
(٣) ديوانه النابغة الجعدي تحقيق الدكتور واضح الصمد، ط دار صادر بيروت، الطبعة الأولــى عــام ١٩٩٨م، ص١٤٨، والأبيات من بحر المنسرح.
(*) الأبشار: جمع بشر والبشر الخلق (مختار الصحاح مادة بشر ص٥٣).
والنسما: جمع نسمه وهي كل كائن حي فيه روح (المعجم الوجيز، ط وزارة التربية والتعليم عام ١٤١٤هـ ــ١٩٩٣م، مادة نسم، ص٦١٤).
العقائق: جمع عقيقة وهي الشعر الذي يولد عليه كل مولود من الناس والبهائم (مختار الصحاح، مادة عقق، ص٤٤٦).
الأدم: جمع أَدَمَه وهي باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهرها (مختار الصحاح، مادة أدم، ص١٠).

ثـــم عظامـــا أقامهـــا عصـــب ثمـــت لحمـــا كســـاه فالتأمـــا
ثُمَّ كَسَا الـــرِّيَشَ والعَقَـــائِقَ* أَبْـــ شـــاراً وَجلـــداً تَخَالُـــه أَدَمـــا*
والصَّوْتَ واللَّوْنَ والمَعَـــايشَ وال أَخْـــلاَقَ شَـــتَّىَ وفَـــرَّقَ الكَلِمَـــا

إذ يشير إلى أطوار خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان، فهو الخالق والصانع على غير مثال، خلق الإنسان من نطفة ثم صيرها عظاماً وعصباً ثم كسا العظام والعصب لحماً وجعل اتصالاً والتآماً بين العظم والعصب واللحم ثم كساه جلداً وشعراً حتى صار مخلوقاً مكتملاً ثم نفخ فيه الروح وظهرت عظمة الخالق سبحانه وتعالى في اختلاف الخلق والأصوات والألوان والطباع والأخلاق، وما ينتج عن ذلك من اختلاف في الكلام يميز هذا عن ذاك، إن هذا الاختلاف في كل ما تقدم لهو جم المنافع والمصالح وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

وفي هذا التصور الجامع بين المادة والروح يقول الشاعر (عمر بهاء الدين[١] الأميري) متناولاً هذا التصور الإسلامي للإنسان[٢]:

تُسَائِلُنِي ــ يَاعَقْلُ ــ كَشْفَ حَقِيقَتِـــي وكَيْفَ أَرَى ــ يَاعَقْلُ ــ مَا اللهُ مُخْفِيـــهِ؟
يُحِسُّ كيَانِي حِـــينَ يَصْـــفُو وَيَرْتَقِـــي بِـــرُوحٍ سَـــنِيٍّ* يَنْتَشِـــي* فِـــي مَجَالِيـــهِ
وَحِـــينَ يُغَشِّـــيهِ مِـــنَ التُّـــرْبِ عِثْيَـــرٌ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضَـــينَ يَعْمَـــهُ فِـــي تيـــهِ*
تَذَبْذَبَ بَيْنَ الرُّوحِ والطِّـــينِ عُنصُـــرِي فَلاَ الطِّـــينُ يُرْدِيـــهِ وَلاَ الـــرُّوحُ يُعْلِيـــهِ
تَرَكْتُ شِرَاعِي فِـــي العُبَـــابِ مُسَـــلِّماً لَعِـــلَّ رِيَـــاحَ اللَّـــهِ بِـــاللُّطْفِ تُزْجِيـــهِ*
وَوَجَّهْتُ أَعْمَاقِي وَرُوحِـــيَ وَطِينَتِـــي إِلَـــىَ اللهِ أَرْجُـــو عِنْـــدَهُ خَيْـــرَ توْجِيـــهِ

---

(١) شاعر إسلامي من العصر الحديث.

(٢) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د/ عبدالرحمن رأفت الباشا، ص١٣٧، ١٣٨، والأبيات من بحر الطويل.

(*) سني: السنا ضوء البرق والسَنى الرفيع والمراد البهي(مختارالصحاح ماده سنا ص٣١٨).
ينتشي: انتشى فلان بدأ سُكْره ونشى نشوة: سكِرَ أول السكر (المعجم الوجيز مادة نشي، ص٦١٧).
تيه: تاه في الأرض: ضل وذهب متحيراً (المعجم الوجيز مادة تيهَ ص٨٠).
تزجيه: زجي الشيء تزجية دفعه برفق (مختار الصحاح مادة زجا ص٢٦٩).

فَطَافَ بِقَلْبِي طَائِفٌ مِنْ سَكِينَةٍ يَعِزُّ عَلَى عَقْلِي اكْتِنَاهُ مَعَانِيهِ

فالشاعر يتحدث عن الروح والجسد ويشكو من طغيان أحدهما على الآخر، فهو يرد كشف حقيقته إلى الله سبحانه وتعالى، وليس إلى العقل، ولكنه يقول: إنه حين يصفو كيانه أو جسده يحس بروح ينعم في رحابه ويهنأ، وحين يغشى كيانه غبار يتحير في أرض قفر تضل الناس، ثم يرى أن عنصره تردد بين الروح والطين، ولا يعلو أحدهما على الآخر حيث إن الطين لا يهلكه والروح لا ترفع من شأنه. ثم يشبه الهيئة التي هو عليها من تسليم نفسه بعنصريه الروح والجسد إلى الله تعالى بهيئة الشراع الذي يتركه وسط أمواج البحر العالية لعل رياح الله تسوقه وتوجهه، ثم يشير إلى أنه عندما وجه جسده وروحه إلى الله وكان يرجو خير توجيه شعر بالسكينة في قلبه وهذه السكينة يعجز عقله عن الإحاطة بمعانيها.

فلو نظرنا في النماذج الشعرية السابقة، نجد أن أصحابها استفادوا من المعاني التي وردت في القرآن الكريم حيث يرشد التصور القرآني إلى حقيقة خلق الإنسان وأنه مزيج من المادة والروح، وسط بين الحيوانية والملائكية، ولذا فهو أفضل المخلوقات، أسجد الله له الملائكة، جعله الله خليفة في الأرض.

٢ـ الإنسان موصوف بالرقي والتقدم:

قد وصف القرآن الإنسان بغاية الحمد فهو الكائن المكرم المخلوق في أحسن تقويم وأكمل صورة، ومن هنا يتغلب على شهواته فيرتفع قدره، ويحقق أرفع ما في كيانه من طاقات واستعدادات فيكون ممدوحاً، وقد جاءت هذه المعاني في عدد من الآيات القرآنية، قال تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ»(١).

وقوله تعالى: «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»(٢).

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ»(٣).

---

(١) البقرة: الآية (٢٠٧).

(٢) يونس: الآية (٢٦).

(٣) الانفطار: الآيات (٦) : (٨).

وقوله تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ»[(١)].

وقوله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»[(٢)].

وقد صور الشعراء هذا الجانب الراقي من الإنسان، حيث يقول أمير الشعراء (أحمد شوقي[(٣)])، في نهج البردة[(٤)]:

والنفسُ من خَيْرِها في خيرِ عافيةٍ   والنفسُ من شرِّها في مَرْتع* وخمِ*

ويعني إن النفس ما دامت آخذة بخير الخلال وأكرمها، فهي في أعلى السعادات وأوفاها، وإذا أمسكت بمرذولها وأخذت بالدون منها صارت لا محالة إلى شر حال وكان عاقبة أمرها خسرا[(٥)].

---

(١) الغاشية: الآيتان (٨)، (٩).

(٢) التين: الآية (٤).

(٣) أحمد شوقي (١٨٦٨ــ١٩٣٢م) هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، يلقب بأمير الشعراء، ولد وتوفى بالقاهرة، نشأ في ظل البيت المالك بمصر، وتعلم في بعض المدارس الحكومية، ودرس الحقوق في فرنسا، وعاد سنة ١٨٩١م، عين رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي، عالج أكثر فنون الشعر من مدح ووصف ورثاء، وتناول الأحداث السياسية والاجتماعية في مصر والعالم الإسلامي ونفي إلى أسبانيا عام ١٩١٥م، وعاد عام ١٩١٩م. (راجع الأعلام، تأليف خيرالدين الزركلي، ط دارالعلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، مايو ١٩٨٠م ج١، ص١٣٦،١٣٧.

(٤) ديوان شوقي، شرح د/ أحمد محمد الحوفي، ج١، ط دار نهضة مصر، ص٦٢١، والبيت من بحر البسيط.

(*) مرتع: كل مخصب فهو مرتع والرتع الأكل بشرهٍ (لسان العرب لابن منظور، جمال الدين أبوالفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور، تحقيق: الأساتذة عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط دار المعارف، ج٣ ص١٥٧٧ مادة رتع).

وخم: أي وبيءٌ وأرض وخمة لا ينجع كلؤها (لسان العرب، ج٦ ص٤٧٩١ مادة وخم).

(٥) نهج البردة نظم أمير الشعراء أحمد شوقي توضيح الشيخ سليم البشري، ط مكتبة الملك فيصل الإسلامية، ص٢١.

وفي نفس المعنى يقول الحطيئة[١]، في إحدى قصائده[٢]:

من يَزْرَع الخَيرَ يحصُدْ ما يُسَـرُّبِهِ وزارِعُ الشّرّ مَنكُوسٌ* على الـرّاسِ

يشير إلى ما يقدمه الإنسان في دنياه من أعمال صالحة وكيف ينال ما يسره ويفرحه في الآخرة جزاء عمله، ثم يشير في المقابل إلى من يعمل السيئات ويعطينا صورة منفرة له في الآخرة وهي كونه منكوساً على رأسه.

فبالنظر في هذين النموذجين نجد أن الشاعرين قد تناولا نفس المعاني التي وردت في الآيات القرآنية السابقة وذلك في الحديث عن الصورة المحمودة للإنسان والتي تجعله ممدوحاً مرفوع القدر، والصورة الأخرى التي تجعله مذموماً إذا تبع هواه وشغل بدنياه وغفل عن أخراه.

ومن هنا كان على الإنسان أن يسمو بالجانب الروحي، ويعلي من قيمة المعاني الإنسانية التي تصب في رفعه الجانب الروحي فيكون الجسد راحلة السير إلى الآخرة، وأنه كلما درب هذا الجسد على تحمل المشاق، وأخذه بالعزيمة والصبر كلما ارتقى إلى مواطن الحمد والكمال، وغادر مواطن الردي والهلاك، وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي[٣]

---

(١) "هو جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان هجاءً عنيفاً، لم يكد يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه، وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر فشكا إلى عمر بن الخطاب فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال:

إذاً تموت عيالي جوعاً

وله ديوان شعر، توفى حوالي عام ٤٥هـ ــ٦٦٥م)(انظر الأعلام للزركلي، ج٣ ص١١٨).

(٢) ديوان الحطيئة شرح د/ يوسف عيد، ط دار الجيل، بيروت، ص١١٩، والبيت من بحر البسيط.

(*) منكوس: النكس قلب الشيء على رأسه، ونكس رأسه إذا طأطأه من ذُلٍ (لسان العرب، ج٦ ص٤٥٤٠ مادة نكس).

(٣) الشاعر هو: "علي بن العباس بن جريح، أبو جورجيس، الرومي، أبو الحسن، شاعر كبير ولد في بغداد عام ٢٢١هـ ــ٨٣٦م، يعد من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس، نشأ وعاش في بغداد، ومات فيها مسموماً، قيل: دس له السم القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد، فمات عام ٢٨٣هـ ــ٨٩٦م". (راجع الأعلام، المجلد الرابع، ص٢٩٧).

متحدثاً عن الصبر ومكاسبه والجزع ومغابنه[١]:

أرى الصبرَ محموداً وعنه مذاهبُ ... فكيف إذا ما لم يكن عنهُ مَذْهَبُ؟
هناك يَحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبٌ ... وما كان منهُ كالضرورةِ أوجَبُ
فشدَّ امرؤٌ بالصبر كفاً فإنهُ ... له عِصمةٌ أسبابُها لا تُقضَّبُ*
هو المَهْرَبُ المُنجي لمن أحَدقْت بهِ ... مكارهُ دهرٍ ليس عنهنَّ مَهْرَبُ
لَبُوسٌ جَمَالٌ جنَّةٌ* من شماتةٍ ... شِفاءُ أسىً يُثنَي به ويثُوَّبُ
فيا عجباً للشيء هذي خلالُهُ ... وتاركُ ما فيه من الحظِّ أعجَبُ
وقد يَتظَنَّى الناسُ أنّ أَساهُمُ ... وصبرَهُمُ فيه طِباعٌ مركَّبُ
وأنهما ليسا كشيءٍ مُصَرَّفٍ ... يُصرِّفُهُ ذونكبةٍ حين يُنكب
فإن شاءَ أن يأسى أطاعَ له الأسى ... وإن شاء صبراً جاءهُ الصبر يجلب
وليسَ كما ظنوهما بل كلاهما ... لكل لبيب مُستطاعٌ مُسبَّبُ
يُصرِّفه المختارُ منهما فتارةً ... يُرادُ فيأتي أو يُذادُ* فيذْهبُ
إذا احتجَّ محتجٌّ على النفس لم يكد ... على قَدْر ما يمني له يتعتبُ
وساعَدَهَا الصبرُ الجميلُ فأقبلتْ ... إليها له طوعاً جَنائبُ* تحبَبُ
وإنْ هو منَّاها الأباطيلَ لم تزل ... تُقاتلُ بالغيْب القضاءَ فتغلَبُ

---

(١) ديوان ابن الرومي شرح الأستاذ أحمد حسن بَسَج، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى عام ١٤١٥هـ ـ١٩٩٤م، ج١، ص١٤٧، ١٤٨ والأبيات من بحر الطويل؛ ديوان المعاني للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري عن نسخة الإمامين العظيمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني، ج١، ط مكتبة المقدسي، القاهرة ص١٣١، ١٣٢.

(*) تقضب: تقطع (مختار الصحاح، مادة قضب، ص٥٣٩).

جُنّة: ستر ووقاية (مختار الصحاح، مادة جنن، ص١١٤).

يُذاذ: ذاد دافع وحمى (لسان العرب، ج٣، مادة ذود، ص١٥٢٥).

(*) جنائب: جمع جنب وهو شق الإنسان وغيره تقول قعدت إلى جنب فلان وجانبه (لسان العرب، ج١، مادة جنب، ص٦٩١).

فَتَضحى جزوعاً إن أصابتْ مُصيبةُ وتُمسي هلوعَاً إذ تَعذَّرَ مَطْلَبُ
فلا يَعذِرَنَّ التاركُ الصبرَ نفسَهُ بأن قيلَ: إن الصبرَ لا يُتكسَّبُ

فابن الرومي في هذه الأبيات يتحدث عن "الصبر" فيرد على القائلين بأنه ليس مكتسب وأنه طبع مركب في الإنسان، فيقول: أن الصبر أو الأسى صفتان يكتسبهما الإنسان ويستطيع أن يوجه نفسه للتحلي بأي منهما، ويرى أن الصبر هو الصفة المحمودة وخاصة إذا كان ضرورة، ففي هذه الحالة يكون الصبر واجباً عليه، ويرى أن الصبر يجعل الإنسان محفوظاً من الوقوع في الأخطاء، وهو المنجي للإنسان حينما تحدق به الأخطار، وهو الذي يحمي صاحبه من شماتة الأعداء، ويشفيه من الحزن والألم، ويتعجب الشاعر كيف تكون هذه سمات الصبر ويتركه الإنسان، ثم يعطينا صورة منفرة لتارك الصبر فيقول: إن الإنسان إذا منى نفسه بالباطل فيدخل في قتال مع القضاء فيُغلب ويصبح جزوعاً إذا أصابته مصيبة وهلوعاً إذا طلب أمراً ولم يحصل عليه، ويرى أن تارك الصبر عليه ألا يتعلل بأنه غير مكتسب، فهذا رأي خاطئ والقرآن الكريم يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى يجزي الصابرين خيراً على صبرهم وهذا دليل على أنه من فعل الإنسان وليس من الفطرة، فقال تعالى: «وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»(١)، وقال تعالى: «سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»(٢)، وقال تعالى: «وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ»(٣)، وقال تعالى: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ»(٤)، وقال تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»(٥).

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تتحدث عن الصبر وأنه مكتسب وليس طبعاً أو سجية.

فالشاعر في هذه الأبيات تحدث عن صورة محمودة للإنسان وذلك حين يستطيع أن يتغلب على نفسه ويجبرها على أن تكون صبورة غير جزوعة وبذلك يحقق الإنسان أرفع ما

(١) الشورى: الآية (٤٣).
(٢) الرعد: الآية (٢٤).
(٣) النحل: الآية (١٢٦).
(٤) الزمر: الآية (١٠).
(٥) البقرة: الآية (١٥٥).

في كيانه من طاقات واستعدادات فيكون ممدوحاً، وبذلك سار الشاعر على نفس النهج الذي نهجه القرآن الكريم في تصوره للإنسان من خلال هذه الصفة.

ويوجه ابن الرومي الإنسان في أبيات أخرى إلى أن يكون محموداً وأن يكبح جماح نفسه، وأن يوجهها إلى ما يرفع قدره وذلك من خلال حديثه عن الحقد وذمه[١]، يقول:

الحقد داءٌ دفينٌ لا دواءَ له ... يَبْرِي الصُّدورَ إذا ما جمرُه حُرِثا

فاسْتَشْفِ منه بصفح أو معاتبةٍ ... فإنما يبرئ المصدورَ ما نفثا

واجعلْ طلابَك بالأوتَار* ما عَظُمَتَ ... ولا تكن لصغير الأمر مكترثا

فابن الرومي يتحدث عن الحقد ويعرفه بأنه مرض خفي لا دواء له، وأنه يذيب الصدور ويحرقها، ثم يوجه الإنسان إلى أن يكون محموداً ويسيطر على نفسه، وأن يزيل الحقد من قلبه وذلك عن طريق الصفح، أو العتاب، لأن ذلك ينفث عن الحقد الذي يعتلج بقلب صاحبه، كما يوجه الشاعر الإنسان بأن يكون طلبه للأمور العظيمة بالشدة والقوة والعزيمة، وعليه ألا يهتم بصغائر الأمور وسفاسفها.

فنجده في هذه الأبيات يتحدث عن صورة أخرى محمودة للإنسان وذلك حين يبرئ صدره من الحقد وأن يكون اهتمامه بعظائم الأمور لا بصغائرها، وبهذا يوجه الشاعر الإنسان بنفس الطريقة التي وجهه بها القرآن الكريم من خلال الآيات السابقة الواردة في هذا التصور.

ويقول ابن المعتز[٢] متحدثاً عن النفس[٣]:

ألا يا نَفسُ إن ترضى بقوتٍ ... وأنت عَزِيزَةٌ أبداً غنية

---

(١) ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ/ أحمد حسن بسج، ج١، ص٢٧٧، والأبيات من بحر البسيط؛ ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، ج١، ص١٣٢.

(*) الأوتار: جمع وَتَرُ ومنه أوترت القوس شَدَدْتُ وَتَرَهَا (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، تحقيق: د/ عبدالعظيم الشناوي، ط دار المعارف، الطبعة الثانية، ص٦٤٧ مادة وتر).

(٢) "هو عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي أبو العباس، ولد في عام ٢٤٧هـ ــ٨٦١م في بغداد، شاعر مبدع، خليفة يوم وليلة، وأولع بالأدب فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، توفى عام ٢٩٦هـ ــ٩٠٩م". (راجع الأعلام، المجلد الرابع، ص١١٨).

(٣) ديوان ابن المعتز، شرح د/ يوسف شكري فرحات، ط دار الجيل، بيروت، ط أولى عام ١٤١٥هـ ــ١٩٩٥م، ص٧٥٠؛ والأبيات من بحر الوافر.

دَعي عَنكِ المَطامعَ* والأماني* فكمَ أُمنيّةٍ جَلبَتْ مَنيّة*

فالشاعر يخاطب النفس ويذكرها أنها عزيزة وغنية مما يجعلها محمودة مكرمة مخلوقة في أحسن تقويم ومن ثم يجب عليها أن تترك المطامع والأماني لأن كثرة التطلعات تجعل صاحبها يؤثر الدنيا على الآخرة، وهذا قد يؤدي بصاحبه إلى الهلاك، فالشاعر يسير على منهج القرآن الكريم، ويوجه الإنسان إلى ما يهذب نفسه ويجعلها محمودة حتى ينال رضى الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال ما فعله في الدنيا من ترك المطامع والتطلعات التي تغضب الله سبحانه وتعالى، وبهذا يصير ممدوحاً عند الناس ومحموداً عند الله عز وجل.

فالشاعر هنا تحدث عن صورة محمودة للإنسان وذلك حين يوطد نفسه على أن تعيش راضية عزيزة، وأن تخلع عنها الطمع والغلو في التطلعات التي لا تكسبها خيراً، فهو يحذرها أن ذلك قد يكون سبباً في نهايتها وهلاكها، وبهذا يكون الشاعر قد نهج نفس النهج الوارد في القرآن الكريم.

٣ـ الإنسان ظلوم كفار محب للشهوات:

على الرغم من أن الإنسان فيه الجوانب الحسنة التي ترقى به إلى المعالي، إلا أننا نجد فيه جوانب مظلمة، فهو أحياناً ظلوم لنفسه كفارٌ لنعم ربه، ومن ثم يخضع لشهواته فتستذله وتقوده كما يقاد البعير، وبذلك يكون الإنسان مذموماً.

وقد وردت هذه المعاني في عدد من الآيات القرآنية، قال تعالى: «اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ* وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ»[1].

(*) المطامع: الطمع الرغبة في الشيء واشتهاؤه (المعجم الوجيز مادة طمع، ص٣٩٥).

الأماني: التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون (لسان العرب، ج٦، مادة مني، ص٤٢٨٣).

منية: الهلاك والموت (لسان العرب، ج٦، مادة منن، ص٤٢٧٧)

(١) إبراهيم: الآيات (٣٢) : (٣٤).

وقوله تعالى: «خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ»[١]، وقوله تعالى: «وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً»[٢].

وقوله تعالى: «وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا * يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا»[٣].

وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»[٤].

فمن خلال هذه الآيات البينات قد صور الشعراء هذا الجانب المادي المعتم في الإنسان، حيث يقول البوصيري[٥] في بردته[٦]:

فيا خَسارةَ نفسٍ في تجارتها ... لم تشتر الدِّين بالدنيا ولم تَسُمِ*

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً منه بعاجِلِهِ ... يَبِنْ له الغَبْنُ*في بيعٍ وفي سَلَمِ*

---

(١) الأنبياء: الآية (٣٧).

(٢) الإسراء: الآية (١١).

(٣) النساء: الآيتان (٢٧)، (٢٨).

(٤) يونس: الآية (٢٧).

(٥) البوصيري (٦٠٨ــ٦٩٦هـ)(١٢١٢ــ١٢٩٦م) وهو محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين، أبو عبدالله، شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر، أمه منها، وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني جينون، ومولده في بهتيم من أعمال البهنساوية، ووفاته بالإسكندرية، وله ديوان شعر وأشهر شعره البردة ومطلعها: (أمِن تذكّر جيرانٍ بذي سَلَم) وشرحها وعارضها كثيرون، والهمزية ومطلعها: (كيفَ ترقَى رُقْيُكَ الأنبياءُ) وعارض بانت سعاد بقصيدة مطلعها: (إلى متى أنتَ باللذاتِ مشغولُ). (انظر: الأعلام للزركلي، ج٦، ص١٣٩).

(٦) البردة للإمام البوصيري شرح الشيخ/ إبراهيم الباجوري، تعليق الشيخ عبدالرحمن حسن محمود، ط مكتبة الآداب، ص١٢٥، والبيتان من بحر البسيط.

(*) تسم: من المساومة، أي التفاوض (المعجم الوجيز، مادة سام، ص٣٣٠).

الغبن: الخداع (مختار الصحاح، مادة غبن، ص٤٦٨).

السلم: السلف (مختار الصحاح، مادة سلم، ص٣١١).

فالشاعر يستعظم خسارة هذه النفس التي لم تأخذ الدين بدل الدنيا، بل عدلت عن العظيم الباقي إلى الخسيس الفاني، والبيت الثاني تتميم لتبكيت النفس، لأن فيه توعداً بالغبن حيث بين فيه أن من يَبِعْ الآجل وهي الثواب الذي يكون في الآخرة المحققة الباقية، بالعاجل الذي يأخذه من الدنيا الفانية سوف يظهر له الخداع في هذا البيع.

وفي المعنى السابق، يقول أمير الشعراء أحمد شوقي في نهج البردة(١):

والنفسُ من خَيْرِها في خيرِ عافيةٍ والنفسُ من شرِّها في مَرْتَعٍ وخمِ

تطغَى إذا مُكِّنَتْ من لذَّةٍ وهَوىً طَغْيَ الجيادِ إذا عَضَّتْ على الشُكُمِ*

إذن النفس ما دامت آخذة بخير الخلال وأكرمها، فهي في أعلى السعادات وأوفاها، وإذا أمسكت بمرذولها، وأخذت بالدون منها، صارت لا محالة إلى شر حال، وكان عاقبة أمرها خسرا، وشبه في البيت الثاني طغيان النفوس، وثورتها لانتهاب ما يقع لها من اللذائذ وإسرافها في أبواب هواها بالخيل إذا عضت على شكيمتها فإنها على هذه الحال تكون أشد ما تكون ثورة وهياجاً(٢).

وحذر النَّبْهَاني(٣)، من هذا التوجه المادي تحت عنوان موعظة حسنة، إذ يقول(٤):

هيهات يا مجرمُ أن تفوزا يومَ يقومُ الخلق أو يجوزَا

---

(١) ديوان شوقي، ج١ ص٦٢١، والبيتان من بحر البسيط.

(*) الشكم: جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام (المعجم الوجيز مادة شكم، ص٣٤٩).

(٢) نهج البردة، ص٢١.

(٣) الشاعر هو سليمان بن سليمان النبهاني، ملك شاعر من بني نبهان (ملوك عُمان) خرج على الإمام أبي الحسن بن عبدالسلام النزوي، واستولى على عمان (بعد ذهاب دولة آبائه النبهانيين وحكمها مدة، وخلعه أهل عمان بإمامة محمد بن إسماعيل وكان شاعراً حماسياً مجيداً، وله يوان شعر، وتوفى نحو عام (٩١٠هـ ـ١٥٠٥م). (راجع الأعلام للزركلي، ج٣ ص١٢٦).

(٤) ديوان النبهاني للشاعر سُليمان بن سُليمان النبهاني، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط ثانية، ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م، ط آمون للطباعة، ص٣٤٢، والأبيات من مخمسات من بحر الرجز.

وأن تنالَ عن لظـــى تبريـــزا* وقد عصيت ربَّـــك العزيـــزا
ولم تـــزل لأمـــره أبيّـــا*
كيف ترجىّ الفوز في المعـــاد وأنـــت لله مـــن الأعـــــادي
أم كيف ترجو رتبـــةَ العبـــاد وأنتَ منعاجٌ* عـــنِ الرشـــادِ
متبعـــاً شيطانك الغويـــا

فهو ينادي على الظلوم الكفار المحب للشهوات بأن لا يطمع في الفوز والنجاة من النار يوم العرض على الله، والسبب في ذلك أنه قد عصى ربه، وكان في الدنيا يأبى طاعة أوامـــره تعالى، ثم يسأله الشاعر سؤالاً استنكارياً بأنه كيف يطمع في الفوز يوم الحساب وهو عـــدو لله سبحانه وتعالى، وكيف يطمع في أن يكون في درجة العابدين الطائعين لله وهو ملتوٍ ومـــردود عن الرشاد ومنقادُ وراء شيطانه وشهواته.

وهناك شاعر أخر قد حذر من الوجهة المادية المعتمة وهو البهاء زهير[١] تحت عنوان ما أغفلني[٢]، إذ يقول:

كمْ يذهب هذا العمرُ في خسْـــرَانِ ما أغفلني عنـــه ومـــا أنْســـانِي
إن لم يـــكن اليومَ فلاحي* فَمَتَـــى هل بعدك يا عُمْرِيَ عُمْـــرٌ ثـــانِي

(*) تبريزاً: منه برز الفرس تبريزاً إذ سبق الخيل في الحلبة والمراد هنا أي بعداً (المصباح المنيـــر، مادة برز ص٤٤).
أبياً: ممتنع (المصباح المنير، مادة أبي، ص٣).
منعاج: منحرف ومردود (المعجم الوجيز، مادة عوج، ص٤٣٩).

(١) هو: "زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي، بهاء الدين، ولد عام ٥٨١هـ ـ١١٨٦م، شـــاعر، كان من الكتاب، يقول الشعر ويرققه فتعجب به العامة وتستملحه الخاصة، ولـــد بمكـــة، ونشـــأ بقوص، واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب (بمصر)، فقربه وجعله من خواص كتَّابه، وظل حظياً عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير في داره إلى أن توفى بمصر وله ديوان شـــعر، وتـــوفى عام ٦٥٦هـ ـ١٢٥٨م" (الأعلام، ج٣ص٥٢).

(٢) ديوان البهاء زهير شرح وتحقيق محمد طاهر الجبلاوي، محمـــد أبـــو الفضـــل إبـــراهيم، ط دار المعارف، طبعة ثانية، ص٢٨٠، والأبيات عبارة عن دوبيت.

(*) فلاحي: الفلاح الفوز والبقاء والنجاة (مختار الصحاح، مادة فلح، ص٥١٠).

فالشاعر يشير إلى الإنسان الغافل الذي يعيش حياته وهو يخسر دائماً ولكنه غافل عن هذا الأمر، ثم يبكت نفسه حينما يفيق من غفلته بعض الوقت، فيقول: إن الإنسان يعيش الحياة مرة واحدة فعليه أن يعمل في هذه الحياة لفلاحه في الآخرة.

فالشعراء في النماذج السابقة وضحوا الصورة المادية المعتمة المذمومة للإنسان وذلك حين يكون ظلوماً، كفاراً، محباً للشهوات، ولم يقتصر الشعراء على سرد هذه الصورة فقط، بل حاولوا تنفير الإنسان منها وتوجيهه الوجهة الصحيحة التي تجعله محموداً عند الله وعند الناس، وهذا ما يدلنا عليه ديننا الحنيف بأن نتحدث عن الخير والشر ونحض على الخير وننفر من الشر، والشعراء في هذا النهج ساروا على منهج القرآن الكريم واقتبسوا منه ما يدعم أقوالهم وآراءهم في هذا الشأن.

٤ ـ الإنسان يصارع نفسه:

قد يعيش الإنسان في صراع مع نفسه فهو يريد في داخله أن يتخلص من ذنوبه وآثامه ونفسه تصارعه في هذا الأمر ولا يتخلص من هذا الصراع إلا بالعودة إلى ربه، والتوبة من ذنبه والتعلق بالأمل في أن يغفر الله له، وقد جاء في ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ»(١).

وقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا»(٢).

وقوله تعالى: «وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا»(٣).

وقوله تعالى: «فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»(٤).

---

(١) آل عمران: الآيتان (١٣٥)، (١٣٦).
(٢) النساء: الآية (٦٤).
(٣) النساء: الآية (١١٠).
(٤) المائدة: الآية (٣٩).

وقد تناول هذا التصور المعنوي الروحي الدافع إلى الخير عدد كبير من الشعراء، وهــذا يرجع إلى أن هذا التصور غالب على البشر، حيث يعيش الإنسان أبداً في حاجة إلــى العــون وإلى الخروج من الحيرة بين خضوعه لأوامر الله، وفي ذلك هداه وبين طوعه لنفسه وهواهــا وفي ذلك رداها، وقد سطر هذا المعنى الإمام البوصيري في بردته حيث يقول(١):

يا نَفْسُ لا تَقْنَطي منْ ذَلَّــةٍ عَظُمَــتْ ... إنَّ الكبائرَ فــي الغُفْــران كــاللَّمَم*

لَعَلَّ رَحْمَــةَ رَبِّــي حــين يَقْسِــمُها ... تَأتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ في القِسَــمِ

يارَبِّ واجْعَلْ رَجائِي غَيْرَ مُــنْعَكِس ... لَدَيْكَ واجْعَلْ حِسابِي غَيْرَ مُنْخَــرِم*

وألطُفْ بِعَبْدِكَ في الــدارَيْنِ إنَّ لَــهُ ... صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأهْــوالُ* يَنْهَــزِمِ

فهو يطلب من نفسه ألا تيأس من رحمة الله في غفرانه لكبائر الــذنوب مثــل غفرانــه لصغائرها، ومعلوم أنه تعالى يغفر الصغائر فكذلك الكبائر، حيث قال تعالى: «إِنَّ اللّــهَ لاَ يَغْفِــرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء»(٢)، ولما نهى الشاعر نفسه عن القنوط كأنها قالت له: أنا لا أقنط، لكن أخشى ألا يكون حظي من الرحمة قدر ذنوبي التي ارتكبتها فأجابها أرجــو أن تكون رحمة ربي حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم، فمن حمــل مــن العصــيان حملاً كبيراً كان ما يناله من الرحمة شيئاً كبيراً، ومن حمل من العصيان حملاً صغيراً، كان مــا يناله من الرحمة شيئاً صغيراً، والمراد الرحمة التي تنال العاصين، ثم يطلب مــن الله الرحمــة في أن يغفر ذنوبه الصغائر والكبائر، ثم يقول: يارب اجعل ما ظننته من الجميل فيك وهــو أن تنيلني من فضلك وكرمك ما يليق بي غير ناقص، بأن يحصل المظنون غفراناً تاماً كاملاً، ثــم يطلب من الله أن يرفق به في الدنيا والآخرة، وعلل لذلك بأن له صبراً لا يثبت، بل متى تدعــه الأهوال ينهزم أمامها، فيصير العبد بلا صبر فيهلك، وباللطف يندفع الهلاك(٣).

---

(١) البردة للإمام البوصيري، ص١٣٣ : ١٣٦ والأبيات من بحر البسيط.

(*) اللم: صغائر الذنوب (مختار الصحاح، مادة لمم، ص٦٠٥).

منخرم: أي ناقص يقال ما خرم من الحديث شيئاً أي ما نقص (المعجــم الــوجيز، مــادة خــرم، ص١٩٣).

الأهوال: جمع هول وهو الفزع والأمر الشديد (المعجم الوجيز، مادة هول، ص٦٥٥).

(٢) النساء: الآية (١١٦).

(٣) البردة للإمام البوصيري، ص١٤٤ : ١٣٦ (بتصرف).

وفي نفس التوجه المحمود من التوجه الأخروي وقمع التوجه الدنيوي، يقول "ابن النضر"(١):

جهاد النفس مفترض فخذها ... بآداب القناعة والزَّهَادهْ*

فإن جنحت لذلك واستجابت ... وخالفت الهوى فهو الإرادهْ

وإن جمحت* بها الشهوات فاكبح ... شكيمتها* بمقمقة* العبادهْ

عساك تُحِلُّها درج المعالي ... وترفَعُها إلى رتب السعادهْ

الأبيات التي أمامنا "تحض على جهاد النفس وترويضها على الزهد في طيبات الحياة، فإن خالفت هواها وأصغت لك فهي الأمنية المبتغاة، وإن استعبدتها الشهوات فأكبح جماحها بالنسك والعبادة، فهما خير مؤدب ومروِّض ومذلل لها حتى ترقى إلى درج المعالي وتصعد إلى رتب السعادة"(٢).

---

(١) تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (مصر)، د/ شوقي ضيف، ط دار المعارف، الطبعة الثالثة، ص٣٤٤، والأبيات من بحر الوافر.

والشاعر هو: علي بن محمد بن محمد بن النضر أبو الحسن، كان عالماً نحوياً، أديباً فقيهاً، روي عنه ابن برِّيّ وجماعة، وولى قضاء الصعيد، وهو من أهل أسوان أو إسنا، من الأفاضل الأعيان المعدودين من حسان الزمان، ومن الرؤساء القضاة، ذوي النباهة، وكان متصرفاً في العلوم الكثيرة، وله من الأدب مادة غزيرة. (راجع بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ج٢، ط المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ص٢٠٠، ٢٠١).

(*) الزهاده: في الشيء خلاف الرغبة فيه والرضا باليسير مما يُتَيقن حِلُّه وترك الزائد على ذلك لله تعالى (المعجم الوجيز، مادة زهد، ص٢٩٤).

جمحت: جمح / أسرع (مختار الصحاح، مادة جمح، ص١٠٩).

شكيمتها: منه شكم الفرس وهو وضع الشكيمة في فمه وهي حديدة معترضة من اللجام (المعجم الوجيز، مادة شكم، ص٣٤٩).

مقمقة: المقامق المتكلم بأقصى حلقه والمقمقة حكاية صوت أو كلام (لسان العرب، ج٦، مادة مقق، ص٤٢٤٤).

(٢) تاريخ الأدب العربي (مصر) ص٣٤٤.

وأيضاً في التوجه الطيب المحمود، يقول "معروف الكرخي[١]"، وهو يئن من صراعه مع ذنوبه أنيناً يقطع نياط القلوب[٢]:

أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ مِنِّيَ الذُّنُوبُ؟ شُغِفَتْ* بي، فَلَيْسَ عَنِّي تَغِيبُ
مَا يَضُرُّ الذُّنُوبَ لَوْ أَعْتَقَتْنِي* رَحْمَةً بِي؟ فَقَدْ عَلاَنِي المَشِيبُ

يريد أن يتخلص من ذنوبه، ويصور هذه الذنوب بأنها شغوفة به، لا تنفك عنه، لذلك يطلب منها أن تعتقه رحمة به لأنه قد كبر سنه وعلاه المشيب، وندم على ما ارتكب من الذنوب والخطايا.

وفي نفس المعنى الطيب المبارك المحمود من التوجه الأخروي وقهر التوجه الدنيوي يقول أبو نواس[٣]، بعنوان "سبحان علام الغيوب"[٤]:

---

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي الزاهد الورع، ولد في كرخ بغداد، ونشأ وتوفى هناك سنة ٢٠٠ للهجرة، اشتهر بالصلاح، وقصده الناس للتبرك به، وكان الإمام أحمد بن حنبل في جملة من يختلف إليه. (نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص١٣٩).

(٢) المرجع السابق، ص١٤٠.

(*) شغفت: شغف به أحبه وأولع به والشغاف سويداء القلب (المعجم الوجيز، مادة شغف، ص٣٤٥).
أعتقتني: العتق الحرية (مختار الصحاح، مادة عتق، ص٤١١).

(٣) "هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، أبو نواس، شاعر العراق في عصره، ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) عام ١٣٩هـ ـ٧٦٣م، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب وعاد إلى بغداد فأقام فيها إلى أن توفى عام ١٩٨هـ ـ٨١٤م، ولم يكن أبو نواس فقط من كبار الشعراء الذين حذقوا الصناعة اللفظية وفن التعبير، بل كان كذلك شاعراً مطبوعاً يعرف كيف يصوغ أحاسيس الغناء الصادقة، وعواطف الشعور الرقيق، وكان أبو نواس مجاهراً بالفسوق، وجر على نفسه بذلك كثيراً من عقاب الخلفاء وعذابهم، وكثيراً ما افتخر بارتكاب جميع الموبقات ما عدا الشرك. (راجع الأعلام المجلد الثاني، ص٢٢٥، تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، الجزء الثاني، نقله إلى العربية د/ عبدالحليم النجار، ص٢٨، ط دار المعارف، الطبعة الخامسة، بدون تاريخ).

(٤) ديوان أبي نواس شرح الأستاذ علي فاعور، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى عام ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م، ص٨٥، والأبيات من بحر الكامل المجزوء.

حتى متـــى يـــا نفـــسُ تغـــ ... تـــزيِّنَ بالأمـــل الكَـــذُوبِ
يـــا نفـــسُ تُـــوبي قبـــل أن ... لا تســـــتطيعي أن تَتُـــــوبي
واسْــتَغْفري لـــذنوبكِ الـــ ... رحمـــنَ غفـــارَ الـــذنوبِ
إنَّ الحــــوادثَ كالريــــا ... ح عَلَيْـــكِ دَائمـــةُ الهُبُـــوبِ
والمـــوتُ شَـــرعٌ واحِـــدٌ، ... وَالخلُـــق مُختلِفُـــو الضُّـــرُوبِ*
والسَّـعُي فـــي طَلَـــبِ التُّقـــى ... مـــن خَيـــرِ مَكْسَـبَةِ الكَسُـــوبِ*
ولقلمـــا ينجـــو الفتـــى ... بتقـــاه مـــن لطـــخ* العيـــوبِ

فهذا أبو الخطائين يطلب من نفسه التوبة إلى الله، وطلب المغفرة منه سبحانه وتعـالى، ويعلل لذلك بأن الحوادث مثل الرياح في وجودها المستمر، وأن المـوت كـأس دائـر علـى الجميع، على الرغم من اختلاف الناس في الشكل والصنف والنوع، وإن سعي الإنسان للتقوى والعمل الصالح خير من سعيه للكسب لعل تقواه تنجيه مما لصق به من ذنوب.

وفي نفس المعنى من دروب الترقي والنور، قال ابن الرومي في الزهد(١):

باتَ يـدعُو الواحـدَ الصـمدَا ... فـــي ظـــلام الليـــل مُنفـــردَا
خـــادمٌ لـــم تُبْـــق خِدمَتُـــه ... منـــه لا رُوحَـــاً ولا جَسَـــدا
قـــد جَفَـــت عينَـــاهُ غُمْضَـــهُمَا ... والخلـــيُّ القلـــبِ قـــد رَقَـــدَا
فـــي حَشَـــاهُ مـــن مَخَافَتِـــهِ ... حُرُقـــاتٌ تَلـــذَعُ الكَبـــدَا
لـــو تـــراهُ وهـــو مُنْتَصِـــبٌ ... مُشْـــعِرٌ أجفَانَـــهُ السُّـــهُدا*

(*) الضروب: الواحد ضرب وهو الصنف والشكل والنوع (مختار الصحاح، مادة ضرب، ص٣٧٨).

الكسوب: الكسب طلب الرزق (مختار الصحاح، مادة كسب، ص٥٧٠).

لطخ: لطخه بكذا أي لوثه به فتلوث (مختار الصحاح، مادة لطخ، ص٥٩٨).

(١) ديوان ابن الرومي، تحقيق د/ حسين نصار، ج٢ ص٧٧٦، ط دار الكتب العلمية، عـام ١٩٧٤م، والأبيات من بحر المديد.

(*) السهدا: السهاد الأرق (مختار الصحاح، مادة سهد، ص٣١٨).

الوعيد: الوعيد والتوعد التهدد وتستعمل في الشر وفي الخير الوعد والعِدَه (لسان العرب، ج٦، مـادة وعد، ص٤٨٧٢).

كلمــــا مَــــرَّ الوعيـــدُ بـــه / ســحَّ دمــعُ العــين فـــاطرَدَا
ووهَـــتْ أركانُـــهُ جَزَعـــاً / وارتَقَـــتْ أنفاسُـــه صُـــعُدا
قائِــلٌ: يـــا مُنْتَهَـــى أَمَلـــي / نَجِّنـــي مِمَّـــا أخــافُ غَـــدَا
أنَـــا عبـــدٌ غرَّنِـــي أَمَلِـــي / وكَـــأَنَّ المَـــوتَ قـــد وَرَدَا
وخَطِيئَـــاتِي التـــي سَـــلَفَتْ / لَسْـتُ أُحْصِـي بَعْضَـهَا عَـدَدَا
فَلـــيَ الوَيْـــلُ الطويـــلُ غَـــداً / ليـــتَ عُمْـــري قَبْلَهَـــا نَفِـــدَا
ويْحَ عَيْنِي سَـــاءَ مـــا نظـــرتْ / وَيْحَ قَلْبِـي سَـاءَ مـا اعتَقَـدَا
ليـــتَ عينـــي قبـــلِ نظرَتِهـــا / كُحِلَـــتْ أَجْفَانُهـــا رمـــدَا
فـــإذا مـــر الوعيـــد بـــه / كـــاد يُفنـــي روحـــه كمـــدا*
وإذا مـــر الوُعـــود بـــه / شـــدَّ منـــه القلـــب والعضـــدا

والشاعر في هذه الأبيات يصف عابداً انتصب في محرابه في عتمة الليل والناس نيام، وطفق يناجي ربه طالباً منه النجاة في الآخرة، واعترف بأن له ذنوباً لا يستطيع عدها من كثرتها، ويتمنى أن يكون عمره قد نفد قبل اقترافه لهذه الذنوب، فهو يندم ندماً شديداً على اقترافه لها، ويوبخ عينه على ارتكابها لهذه الذنوب، ويتمنى أن لو عينه أصيبت بالرمد قبل ارتكابها لهذه الذنوب، كما يوبخ الشاعر قلبه على اعتقاده في هذه الذنوب، ثم يتذكر الإنذار والوعيد من الله لمن يرتكب الموبقات فيحزن حزناً شديداً كاد يفنيه، ثم يتذكر رحمه الله بعباده ووعده لهم بغفران الذنوب، وحينئذ يتحرك قلبه وسائر أعضاءه وجسده للاجتهاد في العبادة لعل الله يغفر له هذه الذنوب.

وفي المعنى المحمود من الترقي الأكبر والجهاد الأعظم، قال البهاء زهير بعنوان "جهاد النفس"[(١)]،

نحنُ كضـــربَتيَنِ فـــي معركـــةٍ / أدّرعُ* الصَّـــبرَ* عنـــدَ لُقْيَاهَـــا

(١) ديوان البهاء زهير، ص٢٩٠، ٢٩١، والأبيات من بحر المنسرح.

(*) أدرع: منه أدرع الرجل أي لبس الدرع (مختار الصحاح، مادة درع، ص٢٠٣).

رافلة: رفل في ثيابه أطالها وجرها متبختراً (مختار الصحاح، مادة رفل، ص٢٥١).

أُجبُّها: الجبُ: القطع، وجب النفس زجرها (لسان العرب، ج١، مادة جبب، ص٥٣١).

وهي بجندِ الهـوى تُبَـارزُني   وأيّ صـبرٍ يُطيـق هَيْجَاهَـا
إن جَبُنَتْ في القتـال أنجـدَها   أو ضعفت فـي النِّـزَال قوّاهـا
أُصـرعُها تـارة وتَصَـرعنِي   لكنْ لها السَّـبْقُ حـين ألقَاهـا
أحبُّهـا* وهـي لـي معانـدةٌ   كـأنني لسـت مـن أحبّاهَـا
عـدوَّةٌ لا أكـاد أبغضُـها   يـا ليتنـي أسـتطيع أنسـاها
سـابحةُ فـي بحـار فِتْنَتِهـا   رافلـةٌ* فـي ذيـول ظَلمَاهـا
أُجِبُّهـا تـأبَى مُـوَافَقَتي   خاسـرةً دينهـا ودُنْيَاهَـا
يـاَ رَبّ عجِّـل لهـا بِتَوبَتهـا   واغسِلْ بمـاء التَّقـى خَطَايَاهَـا
إن تَـكُ يـا سـيّدي مَعـذِّبَها   مِن ذا الذي يُرْتجـي لِرُحْمَاهَـا
فالطف بها واغتفر لهـا كرمـاً   إنـك خلاّقُهـا ومَوْلاهـا

فالشاعر في هذه الأبيات يعيش في صراع مع نفسه يجاهدها علها تستجيب لـه، فهـو يشخص نفسه ويدخل معها معركة، ولكنه يصورها على أنها أقوى منه فهو لا يستطيع الصبر على هياجها، وهي دائماً منتصرة عليه، فهي لا تبادله حبه، بل هـي عـدوة لـه، ولكنـه لا يبغضها، وهي لا تعبأ به ولا تعيره أدنى اهتمام، بل هي غارقة في الفتنة والظلمـات واتبـاع الشهوات، ولا تستجيب له حين يطلب منها الكف عن كل هـذا، ويسـتقر بهـا الحـال علـى الخسران في الدنيا والآخرة، فيدعو ربه أن يعجل بتوبتها، وأن يستبدل ذنوبها بأعمال صالحة، فالله سبحانه وتعالى هو المرتجي لصلاح هذه النفس، حين يغفر لها كرماً منه سبحانه وتعـالى فهو الخالق لها والمسيطر عليها.

وفي اتجاه الطموح الأخروي وقهر الجانب الدنيوي، قـال ابـن المعتـز بعنـوان: "يـا نفس"(١):

يا نفـسُ، وَيْحَـكِ، طـال مـا   أَبْصَـرْتِ موعظـةً ومَـا
نَفَعَتْـكِ فَاخْشَـى وَانْتَهِـى   وعليـكِ بـالتقوى كَمَـا
فَعَـلَ الأُنَـاسُ الصَـالحِوُ   نَ وَبَـادِرِي فَلَرُبَّمَـا

---

(١) ديوان ابن المعتز، شرح د/ يوسف شكري فرحات، ص٦٦٠، والأبيات من بحر الكامل المجزوء.

سَـــلِمَ المُبَـــادِرُ واحـــذَرِي يـــا نفـــسُ مـــن سَـــوْفٍ، فَمـــا
خُـــدِعَ الشَّـــقِيُّ بِمِثْلِهَـــا، إِيَّـــاكِ منهـــا ، كَلَّمَـــا
نَاجَـــتْ مَكَائِـــدُها ضَـــمِيرَ كِ إِنَّمَـــا هَـــيَ إِنَّمَـــا
خَطَـــرٌ وكَـــمْ قَتَلَـــتْ وَأَهْـــ ـلَكَـــتِ النُّفُـــوسَ وَقَلَّمَـــا
تُغْنَـــي أَمَانِيْهَـــا إِذَا حَضَـــرَ الـــرَّدَى* وكَأَنَّمَـــا
لَمْ يَحْيَـــى مَـــنْ لاَقَـــى مَنِيَّـــ ـتَـــهُ ، فَيَـــا عَجَبـــاً ، أَمَـــا
فِـــي ذَاكَ مُعْتَبَـــرٌ* ؟ وَلاَ شَـــافٍ* يُقَصِّـــرُ مِـــنْ عَمَـــا
يَـــا ذَا المُنَـــى يَـــا ذَا المُنَـــى عِـــشْ مَـــا بَـــدَا لَـــكَ ثُـــمَّ مَـــا

ففي هذه الأبيات يخاطب الشاعر النفس ويحذرها بأنها لطالما سمعت مواعظ ولكنها لم ترتدع فعليها أن تبادر إلى التقوى كما فعل الأناس الصالحون قبلها، كما عليها ألا تؤجل توبتها، لأن التأجيل خطر يخدع، فلكم ماتت نفوس قبل أن تحقق أمانيها، فمن مات لن تعود إليه الحياة، وفي ذلك عبرة لمن يعتبر.

فالشعراء في النماذج السابقة وضحوا صورة ثالثة للإنسان ــ بجانب صورتيه المحمودة والمذمومة ــ وهي صورة الصراع مع النفس وقد رسم الشعراء من خلال هذه النماذج صوراً لمجاهدة النفس وكيفية التغلب عليها والوصول بها إلى الطريق الصحيح الذي يجعلها محمودة عند الله تعالى، فمن الشعراء من يجعل الطريق لمجاهدتها متمثلاً في اللجوء إلى الله والدعاء له بأن يعينه على التغلب عليها، ومنهم يجعله متمثلاً في القناعة والزهد والعبادة لله بكل كيانه وجوارحه حتى يرفع هذه النفس إلى مرتبة السعادة في الدنيا والآخرة، ومنهم من يجعل الطريق متمثلاً في توبيخ النفس وتعنيفها، ومنهم من يجعله متمثلاً في مصارعتها والدخول معها في معركة ومحاولة النصر عليها بكل سبيل.

(*) الردي: الهلاك (مختار الصحاح، مادة ردي، ص٢٤٠).
معتبر: العبرة الاتعاظ (المعجم الوجيز، مادة عبر، ص٤٠٤).
شاف: من شفى الله العليل أبرأه من علته (المعجم الوجيز، مادة شفى، ص٣٤٧).

فالشعراء في هذه النماذج قد اقتبسوا من آيات القرآن الكريم واستعانوا أيضاً بالسنة النبوية المطهرة للحديث عن مجاهدة النفس، حيث إن السنة فسرت ما أجمل في القرآن الكريم، فقد ورد في حديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "سبعة يظلهم الله ـ تعالى ـ في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"(١).

ففي نص الحديث أن السبعة المذكورين جاهدوا أنفسهم وقهروا مناطق القوة التي تساعد النفس في غوايتها، فالسلطان للإمام أكبر الدوافع المساعدة للنفس أن تحيد، ومع ذلك قهرها وكان عادلاً، والشاب الذي نشأ عابداً لله عبادة صادقة وهي مجاهدة للنفس حيث إن الشباب قوة تحتاج إلى مشقة كبيرة في السيطرة على النفس، فإذا استطاع شاب كبح جماح رغبات نفسه نال المرتبة العالية عند الله تعالى.

وكذا الذي تعلق قلبه بالمساجد جاهد النفس وقهرها فأصبحت سباقة إلى الخير، واللذان تحابا في الله قهراً جميع المنافع الدنيوية في العلاقات والصداقات فانتصرا على الاتجاه المادي وأصبحت نفسيهما طوعاً لمراد الله من الرقي والارتفاع فوق المادة والمنفعة، والذي قهر الشهوة تجاه أعلى مغريات الدنيا صاحبة المنصب والجمال فهو قد انتصر على أعلى مميزات الدنيا وأكبر مغرياتها ورفض أن يصعد على سلم الشيطان الذي لا يجد بدا من الصعود عليه، والذي أطاع الله في الصدقة ولم يأخذ من حظوظ الدنيا شيئاً مما قدمه لغيره، لاشك أنه جاهد نفسه وقهرها فليس لها سلطان عليه، والذي خلا بنفسه ففاضت عيناه، إنه قد عرف طريق الحق وسلكه فما للنفس من سبيل عليه.

---

(١) صحيح البخاري تأليف أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَرْدِزْبَهَ الجُعْفِي (مولاهم) البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ من الهجرة، يشرف على إصدارها الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور، وزير الأوقاف الأسبق ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجزء الثالث، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٥م، ط وزارة الأوقاف، ص٢١، ٢٢، كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين.

والشعراء الذين عبروا عن هذا التوجه من مجاهدة النفس قد ساروا في نفس الطريق الذي وجه إليه الحديث من مجاهدة النفس مما ورد في النماذج السابقة، وهي تدور في محور ما ورد في القرآن والسنة من مجاهدة النفس، وقيادها إلى السمو والترقي في الجانب الروحي وإدراك أعلى المراتب في المعاني الإنسانية والابتعاد عن الجانب المادي النفعي الذي يعلي جانب الأنا وتكون عاقبته وخيمة وذميمة.

٥ـ مكانة الإنسان في الإسلام:

الإنسان في التصور الإسلامي مكرم ومفضل عند الله، وقد زوده الله بالطاقات اللازمة لعمارة الأرض، فالسماوات والأرض بموجوداتها، بقوانينها، بنظامها، بطاقاتها، بمنتجاتها، مسخرة من الله للإنسان، يأخذ منها رزقاً طيباً يستعين به على الحياة والخلافة عن الله، ويدخل في ذلك كل ما في الوجود من كائنات وطاقات، ويدخل فيه الموهبة التي رزقها الله للإنسان، موهبة العلم بهذه الكائنات والطاقات، والقدرة على تسخيرها لعمارة الأرض، وهو مكلف أن يقيم من ذلك كله عملاً صالحاً، ولم يميز الله سبحانه وتعالى الإنسان بخاصية التكليف إلا بعد أن ميزه بخاصية العقل، وذلك لأن العقل يصل بالإنسان إلى حقائق الأمور وهو المرشد الذي يمكنه من التمييز بين الهداية والضلال(١).

وقد جاء هذا التصور الإسلامي المميز للإنسان في الكثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً»(٢).

وقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»(٣).

---

(١) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص٣٩؛ ونحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص١٤١ بتصرف.

(٢) الإسراء: الآية (٧٠).

(٣) النحل: الآية (١٤).

وقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ»(١).

وقوله تعالى: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»(٢).

وقوله تعالى: «عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»(٣)، وقوله تعالى: «وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»(٤).

وقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ»(٥).

وقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا»(٦).

وقد تناول هذا التصور الإسلامي المميز للإنسان الشعراء في مختلف العصور، فيقول "أبو الفرج(٧) الهمداني"(٨):

في ظلام الدّجى وضوء النّهار　　　أيةٌ للمهيمن* الجبّار

---

(١) لقمان: الآية (٢٠).
(٢) آل عمران: الآية (١٨).
(٣) العلق: الآية (٥).
(٤) الجاثية: الآية (٥).
(٥) الأنعام: الآية (١٦٥).
(٦) فاطر: الآية (٣٩).
(٧) هو: "أبو الفرج أحمد بن علي بن خلف الهمداني، في نهاية الفضل وحسن النثر وملاحة الشعر" تتمة يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تأليف أبي منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري، شرح وتحقيق د/ مفيد محمد قميحة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى ١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م، ج٥، ص٢٩٢.
(٨) المرجع السابق، ج٥، ص٢٩٥، والأبيات من بحر الرمل.
(*) للمهيمن: الشاهد وهو من آمن غيره من الخوف (لسان العرب، ج٦، مادة همن، ص٤٧٠٥).
مونق: تقول إنه لأنيق مونق لكل شيء أعجبك حسنه (لسان العرب، ج١، مادة أنق، ص١٥٣).
طراً: جميعاً (مختار الصحاح، مادة طرر، ص٣٨٩).
سكرة: يقال ذهب بين الصحوة والسكرة أي بين أن يعقل وألا يعقل (المعجم الوجيز، مادة سكر، ص٣١٥).

فلـــكٌ دائـــرٌ وقطـــبٌ مقـــيمٌ ونجـــومٌ تجـــري بغيـــر اختيـــارِ
وســـماءٌ قامـــت بغيـــر عمـــادٍ فـــوق أرضٍ رســـت بغيـــرِ قـــرارِ
وصـــعيدٌ يحـــول نبتـــاً نضـــيراً مونق* الرّوض مـــورق الأشـــجارِ
شـــربه واحـــدٌ وألوانـــه شتـــــ ـى، فمـــن أصـــفرٍ ومـــن جلّنـــار
شهد الرّاسخون في العلـم طُـرّاً* إنّ هـــذا مـــن صـــنعة الجبّـــار
خالقٌ الخلق باسِطُ الـرّزق فـيهم مالـــكُ الملـــك عـــالمُ الأســـرارِ
فهـــو الواحـــد الحكـــيمُ تعـــالى عن شـــبيهٍ وعـــن شـــريكٍ وجـــارِ
وهو ذاك الـــذي إذا خفْـــت أمـــراً قلتُ يـــا ربّ نجنـــي مـــن حـــذَارِي
فـــإذا زال مـــا أخـــاف وأخشـــى عدتُ فـــي ســـكرةٍ وفـــي إصـــرارِ

فالشاعر تحدث عن الكون وما فيه من مخلوقات الله من الليل والنهار والفلك والنجـوم والسماء التي قامت بغير أعمدة والأرض التي استقرت بأمر الله سبحانه وتعالى، والتربة التي تنبت النبات، هذا النبات المتعدد الألوان والأشكال، والراسخون في العلم جميعاً يشهدون أن كل هذا من صنع الخالق سبحانه وتعالى، ثم يذكر أن الله خالق الخلق، باسط الرزق، مالك الملـك، منزه عن الشبيه والشريك، وهذا ما يدركه أصحاب العقول السليمة الراسـخون فـي العلـم، ويحذر الناس بأن كل ما في الكون مسخر لخدمة الإنسان، لأنه مكرم عند الله فعلينا ألا نقابـل ذلك بالجحود وألا نلجأ إلى الله عند الحاجة فقط، وعلينا أن نلجأ إليه في السراء والضراء، ولا ننكر فضله علينا، فالله عز وجل سخر لنا كل شيء لنعبده ونشهد له بكل هذه النعم، ولذا فمـن كفر فقد هدم ما من أجله خلق، ومن شهد لصاحب النعم فقد وفق لمهمته ووظيفته.

وفي هذا الاتجاه ما قاله "عمر بهاء الدين الأميري"(١):

كَيْـفَ لَـا أُومِـنْ بِـاللهِ وَهَـلْ لِـــذَوي الأَلْبَـــابِ فيـــه مُلْتَـــبَسْ ؟

(١) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د/ عبدالرحمن رأفت الباشا، ص١٤٢، والأبيات مـن بحـر الرمل.

كَيْـفَ لَـا أُبْصِـرُهُ فـي خَلْقِـهِ ... فِي الضُّحَى في الفَجْرِ في جُنْح الغَلَسْ*
كَيْفَ لَا أَحْيَا بِـهِ وَالـرُّوحُ مِـنْ ... أَمْـرِهِ، فِـي غَـوْرِ ذَرَّاتِـي اتْـبَجَسْ*؟
كَيْفَ لَـا تسْـعَدُ نَفْسِـي بِسَـنَا ... نُـورِهِ فـي كُـلِّ تَرْدِيـدِ نَفَـسْ ؟
وَأَنَا فِي سِـرِّ كُنْهِـي مَـنْ أَنَـا ... أَنَـا مِـنْ إِبْدَاعِـهِ السَّـامِي قَـبَسْ*

فالشاعر في هذه الأبيات يتساءل كيف لا يؤمن بالله ولا يوجد شك لأصحاب العقول في وجوده، فوجوده ظاهر واضح في خلقه في الضحى، في الفجر، في جنح الظلام، ثم يتحدث الشاعر في إيمان وصدق عميقين عن الروح التي تدب في أوصاله، وفي كل ذرة منه ويذكر أنها من أمر الله سبحانه وتعالى، ويتحدث عن سنا نوره الذي يجده في أنفاسه، ثم يخاطب نفسه لماذا نذهب بعيداً وأنا شيء صغير من إبداعه سبحانه وتعالى، والشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن العقل الذي كرم الله به الإنسان وفضله على غيره من المخلوقات وجعله يميز من خلاله بين الهداية والضلال، وهي نفس المعاني التي وردت في الآيات القرآنية السابقة.

وفي شأن تكريم الله للإنسان ورفع درجته بالعلم والمعرفة ما قاله سيدنا "علي بن أبي طالب" كرم الله وجه[١]:

ما الفضلُ إلا لأهل العلـم إنهـم ... على الهُدَى لمـن اسـتهدى أدلاّءُ*
وقدْرُ كل امرئ ما كان يحسـنه ... وللرجـال علـى الأفعـال أسـماءُ
وضدُّ كل امرئ ما كـان يجهلـه ... والجاهلونَ لأهـلِ العلـمِ أعـداءُ

(*) الغلس: ظلمة آخر الليل (مختار الصحاح، مادة غلس، ص٤٧٨).
انبجس: انفجر (المعجم الوجيز، مادة بجس، ص٣٦).
كنهي: الكنه جوهر الشيء وحقيقته (المعجم الوجيز، مادة كنه، ص٥٤٣).
قبس: شعلة من نار (مختار الصحاح، مادة قبس، ص٥١٨).

(١) ديوان الإمام علي ﷺ ، تحقيق مركز البيان العلمي، الناشر مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ ـ١٩٩٩م، ص٨٤، والأبيات من بحر البسيط.

(*) أدلاء: جمع دليل ودل على الشيء أرشد إليه (المعجم الوجيز، مادة دلَّ، ص٢٣٢).
علياء: العلياء كل شيء مرتفع والشرف العلي المرتفع والرفيع القدر (المعجم الوجيز، مادة علا، ص٤٣٢).

وإن أتيت بجود من ذوي نسبٍ فإن نسبتنا جودٌ وعلياءُ
ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ له بدلاً فالناس موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

يتحدث سيدنا علي بن أبي طالب "كرم الله وجهه" في هذه الأبيات عن أهل العلم وأصحاب العقول المستنيرة، ويرى أن لهم الفضل في هداية الناس إلى الطريق الصحيح لمن أراد ذلك، وأنهم يقومون بكل ما يجب عليهم من الإرشاد على الرغم من علمهم جيداً بأن أهل الجهل دائماً أعداء لأهل العلم، ولكنهم يقررون الإرشاد من أجل عمارة الأرض، وهم يدركون جيداً أنهم كلفوا بذلك من قِبل المولى سبحانه وتعالى، ولذا وصف سيدنا علي أهل العلم والعقل بأنهم أحياء، وأن أهل الجهل موتى وهذا تحفيز لأهل العلم على الاستمرار في أداء واجبهم.

وأيضاً عبر عما يميز الإنسان من العلم والمعرفة الحافظة الواقية ابن عربي[١]، تحت عنوان: "روح المؤمن"[٢]:

العلمُ أفضلُ ما يُقتني* ويُكتسبُ والعلمُ أزينُ ما حلى النفوسَ بهِ

---

(١) هو محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله، الحاتمي، من ولد عبدالله بن حاتم أخي عدي بن حاتم، الصوفي الفقيه المشهور الظاهري، ولد بمُرْسيه يوم الاثنين سابع عشر من رمضان سنة ٥٦٠هـ، قرأ القرآن على أبي بكر ابن خلف بإشبيلية بالسبع وبكتاب الكافي، ... وكان انتقاله من مرسية لإشبيلية سنة ٥٦٨هـ فأقام بها إلى سنة ٥٩٨هـ، ثم ارتحل إلى المشرق، وأجازه جماعة منهم الحافظ السلفي وابن عساكر، ودخل مصر، وأقام بالحجاز مدة، ودخل بغداد والموصل وبلاد الروم، ومات بدمشق سنة ٦٣٨هـ ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر، ودفن بسفح قاسيون. (راجع نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د/ إحسان عباس، المجلد الثاني، ط دار صادر، بيروت، عام ١٣٨٨هـ ــ١٩٦٨م، ص١٦١، ١٦٢ بتصرف).

(٢) ديوان ابن عربي الشيخ الأكبر أبو بكر محيي الدين بن عربي الحاتمي، المتوفى سنة ٦٣٨هـ، قدم له وعلق عليه محمد ركابي الرشيدي، ط دار ركابي للنشر، القاهرة، ص١٣٧، والأبيات من بحر البسيط.

(*) يقتني: هو ما يؤخذ ويرتضيه الإنسان (مختار الصحاح، مادة قناص، ص٥٥٣).

مكسبة: من قولهم أكسب فلاناً مالاً أو علماً يعني أناله إياه (المعجم الوجيز، مادة كسب ص٥٣٤).

غوى: الغوى من أمعن في الضلال (المعجم الوجيز، مادة غوى، ص٤٥٧).

بـــالعلم يطبـــعُ رب العـــالمينَ علـــى قلب العبيدِ فلا كِبْـرٌ يُحـلُّ بـــهِ
لأنـــه يَجـــدُ الأبـــوَاب مغلقـــةً بفطرةٍ هو فيهـا أو بمكسـبهِ*
قل كيف شـئت فـإن الأمـر يقلبـه ولا تخف من غويٍ* في تطلبُّـهِ
وكيـف يـدخل كبـر مَـنْ حقيقتـه فقر وعجز وموت عنـد منتبـهِ
شخص يرى قرصةُ البرغوثِ تؤلمه إلى مكـاره يلقـي فـي تقلبـهِ
فالحس يعلم هـذا مـن يقـومُ بـه لدى إقامتـه أو حـال مذهبـهِ

الشاعر في هذه الأبيات تناول الحديث عن فضل العلم على صاحبه، وكيف أنـه يجعـل هناك فرقاً شاسعاً بين صاحبه وغيره من الجهلاء، فيعدد الشاعر محاسن العلم فيذكر أنه مـن أفضل الأشياء التي تقتنى وتكتسب، وهو أحلى ما تزين به النفوس، وإنه يحمي قلب صـاحبه من أن يدخله كِبْرٌ أو خيلاء حين يطبع به رب العالمين على قلبه، ففي هذه الحالة يجـد الكبـر الأبواب موصده أمامه، فلا يستطيع الدخول إلى قلب العالم، ثم ينبه الشاعر العلماء إلـى عـدم الخوف ممن يمعن في الضلال حين يطلب العلم، ثم نجده يتهكم على من يتهم العلمـاء بـالكبر قائلاً بأن الكبر لا يدخل قلب من يعلم جيداً أنه عاجز وأن القدرة لله وحده سبحانه وتعالى فهـو الذي حباه بهذا العلم.

وبالإضافة إلى منزلة العلماء ومكانة العلم، نلحظ أن هناك نعمة كبرى من نعم الله ميـز بها الإنسان، ألا وهي العقل، وفي أجمل ما زين الله به الإنسان من العقل، بل وأحسن ما قيـل فيه ما ورد في ديوان المعاني مما أنشده أبو أحمد عن ابن دريد[1]:

وأفضلُ قسـم الله للمـرءِ عقلـهُ فليسَ منَ الخيراتِ شـيءٌ يقاربـهُ
إذا كملَ الـرحمنُ للمـرء عقلَـه فقـد كَمُلـت أخلاقُـه وضـرائبهُ*
يعيشُ الفتى بالعقل في الناس إنـه على العقل يجري علمـهُ وتجاربـهُ
ومن كان غلابـاً* بعقـل ونجـدة فذو الجدِّ في عقل المعيشـة غالبـهُ

(١) ديوان المعاني، ج١، ص١٤١، والأبيات من بحر الطويل.
(*) ضرائبه: جمع ضريبة وهي الطبيعة والسجية (لسان العرب، ج٤، مادة ضرب، ص٢٥٦٩).
غلاباً: الغلبة: القهر (لسان العرب، ج٥، مادة غلب، ص٣٢٧٨).
أعراقة: يقال رجل عريق أي كريم أصيل (المعجم الوجيز، مادة عرق، ص٤١٥).

يزين الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبهُ
ويزري الفتى في الناس قلةُ عقله وإن كرمت أعراقه* ومناسبهُ

يتحدث الشاعر عن أهمية العقل للإنسان، وكيف أن الله سبحانه وتعالى فضل الإنسان وكرمه بأن ميزه على غيره من المخلوقات بأن حباه بنعمة العقل، فيذكر أن كمال العقل في الإنسان دليل على كمال أخلاقه وطبائعه وسجاياه، ثم يوضح فضل العقل وكيف أن الإنسان من خلاله يستطيع أن يصل إلى حقائق الأمور في العلم والمعرفة، وجعله زينة لصاحبه حتى ولو مُنع الكسب من خلاله، كما أشار إلى أن ضعف العقل وقلته في صاحبه يزريه ويشوهه حتى ولو كان صاحب مكانة عالية ونسب رفيع وأصل كريم.

فالشعراء في النماذج السابقة وضحوا صورة أخرى من صور التصور الإسلامي للإنسان وهي أنه مكرم ومفضل عند الله سبحانه وتعالى، وإنه سخر له كل ما في الكون لخدمته، فعليه في المقابل أن يسخر علمه وعقله لعمارة الأرض وهو مكلف أن يقيم من ذلك كله عملاً صالحاً يخدم به البشرية جمعاء، وقد استسقى الشعراء أفكارهم وأقوالهم في هذا التصور المميز للإنسان مما ورد في الآيات القرآنية التي ذكرناها سابقاً في هذا الشأن، مما يدل دلالة قاطعة على أن الشعراء قد شربوا نهج القرآن الكريم، وأخذوا منه وساروا على منواله في معالجة الكثير من الأمور في نواحي الحياة المختلفة.

٦ـ الإنسان في الأخوة الإنسانية والإسلامية:

الناس في التصور الإسلامي إخوة في البشرية، والمسلمون منهم إخوة في الإسلام، فهم أخوة في البشرية بحكم نشأتهم من نفس واحدة، واشتراكهم في المنشأ والمصير، وهذه الأخوة ليست قضية نظرية جميلة يحتفظ بها في عالم المثل والأحلام، بل هي حقيقة عميقة في حياة البشرية، تصاغ على أساسها النظم والتشريعات والتوجيهات، فالمال يشارك في الانتفاع به الجميع، والأمن والسلام ملك الجميع، وليس المسلم فقط، وإنما هي قضية عامة، والأخلاق قضية إنسانية، ناشئة من أخوة الناس جميعاً، فالذي يفسق في الأرض ويرتكب الفاحشة يعتدي على عرض أخ من إخوته وعرض أخت، والذي يلمز الناس أو يغتابهم أو يتجسس عليهم أو يغشهم ويكذب عليهم أو يسرقهم ويغتصبهم يعتدي على قانون الأخوة الذي يقتضي أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، ويعامله بما يحب أن يعامله به، ومن ثم تقام الحدود التي تلزم

الناس برعاية هذه الأخوة، وتردهم بالحزم والشدة حين يخرجون عليها، إلى جانب التوجيهات التي تبث هذه الروح في كل عمل وكل شعور ويصير هذا جزءاً من دستور الحياة الإنسانية، ناشئاً من الواقع العميق في بنية هذه الحياة(١).

والمسلمون من الناس إخوة في الإسلام، لا يفضل أحد منهم أحداً إلا بالتقوى، فأبوهم الإسلام، وأمهم شِرْعَتُهُ، ومثله وقيمه، وأفضلهم في هذا النسب أتقاهم(٢).

وقد جاء هذا التصور الإسلامي للناس في الكثير من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»(٣).

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»(٤).

وقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ»(٥).

وقوله تعالى: «خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ»(٦).

وقوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»(٧).

---

(١) منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، ص٤٢، ٤٣ بتصرف.

(٢) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص١٤١.

(٣) النساء: الآية (١).

(٤) الحجرات: الآية (١٣).

(٥) الأنعام: الآية (٩٨).

(٦) الزمر: الآية (٦).

(٧) الحجرات: الآية (١٠).

وقد تناول هذا التصور الأخوي المساوي للناس العديد من الشعراء، فهذا سيدنا "علي بن أبي طالب"، يقول[١]:

أيُّهَا الفاخرُ جَهْلاً بالنَّسَبْ إنَمَا النَّاسُ لأمٍّ وأبْ
هَلّ تَرَاهُم خُلقُوا مِنْ فِضَّةٍ أم حَدِيدٍ أو نَحاس أم ذَهَبْ
بَلْ تَرَاهُمْ خُلقُوا مِنْ طِينَةٍ هَلْ سِوَى لَحْمٍ وَعظْمٍ وعَصَبْ
إنَّمَا الفَخْرُ لِعَقْلٍ ثَابِتٍ وحساءٍ* وعَفَافٍ وَأَدَبْ

يخاطب سيدنا علي ﷺ الشخص الجاهل الذي يفتخر بنسبه قائلاً له: الناس جميعاً من أم واحدة هي حواء، وأب واحد وهو سيدنا آدم، وينكر عليه هذا الأمر لأن الحقائق واضحة أمامه حيث إن هذا الذي يفتخر بنسبه يعرف جيداً أن الناس لم يخلقوا من فضة أو ذهب، أو حديد، أو نحاس، بل الإنسان ليس إلا لحم وعظم وعصب، وقد خلق من الطين، ثم يوجه سيدنا علي ﷺ من يريد أن يفتخر بأن الافتخار لا يكون إلا بالتقوى والعمل الصالح الذي ينبع من رجاحة العقل والأناءة والروية والعفاف والأدب.

ويؤكد سيدنا علي ﷺ على هذا المعنى الأخوي في أبيات أخرى، إذ يقول[٢]:

الناسُ من جِهَة التِّمْثال* أكْفاءُ* أبُوهُم آدمُ والأمُّ حوَّاءُ
نفْسٌ كنفْسٍ، وأرواحٌ مُشاكِلَةٌ* وأعْظُمٌ خُلِقَتْ فيها وأعضاءُ
وإنما أمهاتُ الناسِ أوعيةٌ مُسْتَودعَاتٌ وللأحساب آباءُ
فإنْ يكن لهم من أصلهم شرفٌ يُفاخرون به فالطينُ والمَاءُ

---

(١) ديوان الإمام علي ﷺ ص ٣٣، والأبيات من بحر الرمل.

(*) حساء: يقال حسا الرجل الحساء ونحوه أي تناوله جرعة بعد جرعة (المعجم الوجيز، مادة حسا، ص١٥١).

(٢) ديوان الإمام علي ﷺ ، ص٨٤، والأبيات من بحر البسيط.

(*) التمثال: الصورة والجمع تماثيل والمراد هنا الجسم(مختار الصحاح،مادة مثل ص٦١٥).

أكفاء: الكفء النظير والمثيل (مختار الصحاح، مادة كفأ، ص٥٧٢).

مشاكلة: المشاكله المماثلة (المعجم الوجيز، مادة شكل، ص٣٤٩).

يتحدث سيدنا علي ﷺ في هذه الأبيات عن التكافؤ بين الناس فيقول: أن الناس من جهة الخليقة والجسم بعضهم مثل بعض لأن لهم أب واحد هو آدم وأم واحدة هي حواء، ولذلك فالنفوس والأرواح متشابهة، وقد خُلقت الأجساد جميعاً مكونة من عظام وأعضاء ويرى أن الأمهات ما هي إلا أوعية للأبناء، ولكن من أراد أن يفتخر بحسبه ونسبه فعليه أن يفتخر بالطين والماء، فهو أصل خلقة الإنسان.

وأيضاً نبه "عيسى بن عاتك الخطي"[١]، على هذا المعنى الأخوي بين البشرية وأن التفاضل بالعمل الصالح إذ يقول[٢]:

أبِي الإسلامُ لا أب لي سواه ... إذا فَخروا ببكر أو تميم
كِلا الحيّين ينصر مُدّعيه ... ليلحقه بذي الحسب الصميم*
وما حسبٌ ولو كَرُمت عروق* ... ولكنَّ التقيَّ هو الكريمُ

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن العصبية القبلية التي كانت منتشرة في العصور الأولى، فيرى أنه حين يفتخر الرجال من حوله بقبائلهم الكبيرة المعروفة مثل قبيلتي بكر وتميم، فهو لا يفتخر مثلهم بقبيلته، ولكنه يفتخر بالإسلام، حيث يرى أنه الانتماء الحقيقي، وأن الأفضلية والعراقة والأصالة لا تكون إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وأيضاً أكد على البراءة من النظام القبلي والاستماتة على النظام الأخوي، "نوفل[٣]

---

(١) عاتك أمه وهو عيسى بن حُدَير أحد بني وديعة بن مالك بن تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، أحد شعراء الخوارج، كان إذا أراد الخروج تعلق به بناته فيقيم، ثم خرج بعد ذلك. (معجم الشعراء للمرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، تقديم أ.د/ محمود علي مكي، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص٩٥).

(٢) المرجع السابق، ص٩٦، والأبيات من بحر الوافر.

(*) الصميم: من كل شيء المحض الخالص في الخير والشر (المعجم الوجيز، مادة صمَّ، ص٣٧٠).
عروق: جمع عرق وهو أصل كل شيء (المعجم الوجيز، مادة عرق، ص٤١٥).

(٣) هو نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي: صحابي، كان من أغنياء قريش وأجوادهم وشجعانهم، أخرجه قومه يوم "بدر" لقتال المسلمين، وهو كاره، فأسر ثم أسلم، وكان أسن من أسلم من بني هاشم، ورجع إلى مكة، ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ أيام الخندق، وشهد فتح مكة،=

ابن الحارث بن عبدالمطلب" حين يقول[١]:

إِلَيْكُمْ، إِلَيْكُمْ إِنَّنِي لَسْتُ مِنْكُمُ — تَبَرَّأْتُ مِنْ دينِ الشُّيُوخِ الأَكَابِرِ
لَعَمْرُكَ* مَا دِينِي بِشَيْءٍ أَبِيعُهُ — وَمَا أَنَا إِذْ أَسْلَمْتُ يَوْمَاً بِكَافِرِ
شَهِدْتُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّداً — أَتى بِالهُدَى مِنْ رَبِّهِ وَالبَصَائِرِ*
وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ يَدْعُو إِلَى التُّقَى — وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ لَيْسَ بِشَاعِرِ
عَلَى ذَاكَ أَحْيَا ثُمَّ أُبْعَثُ مُوقِناً — وَأَثْوِي* عَلَيْهِ مَيِّتاً فِي المَقَابِرِ

فالشاعر في هذه الأبيات يخاطب المشركين قائلاً: "إنه يتبرأ من دين الآباء والأجداد، ويعتنق دين القيمة دين الإسلام وهو يلتزم بهذا الدين الذي اعتنقه حياً ويموت عليه، فبه يواجه الناس في الدنيا، ويلقي الله في الآخرة، وعلى شرعته يثوي في المقابر. ثم إن الشاعر لا ينسى أن يحدد موقفه من القضية الكبرى المثارة في زمنه، ألا وهي قضية نبوة الرسول ﷺ، حيث كانت رسالة الرسول صلوات الله وسلامه عليه هي التي يتخاصم فيها المتخاصمون، فدفع بهذه القضية إلى الساحة حيث شهد أن محمداً جاء بالهدى والبصائر، وأنه نبي وليس بشاعر"[٢].

وقريب من هذا التصور الأخوي قول الحطيئة[٣]:

وَلَمّا أنْ مَدَحْتُ القَوْمَ قُلْتمْ — هجَوْتَ ولا يحِلُّ لك الهجَاءُ

=وحضر حنيناً والطائف وثبت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فكان عن يمينه، وتبرع في هذه الواقعة بثلاثة آلاف رمح، وعاش إلى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وتوفى سنة ١٤هـ بعد أن استخلف عمر بسنة وثلاثة أشهر، وصلى عليه عمر ﷺ، ومشى معه إلى البقيع حتى دفن هناك". (راجع الأعلام للزركلي، ج٨، ص٥٤).

(١) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص١٥٧ والأبيات من بحر الطويل.

(*) لعمرك: الله أي إقرارك له بالبقاء وهو قسم (مختار الصحاح، مادة عمر، ص٤٥٤).
البصائر: جمع بصيرة وهي الفطنة وعقيدة القلب (لسان العرب، ج١، مادة بصر، ص٢٩١).
أثوي: من ثوي الرجل أي قبر (لسان العرب، ج١، مادة ثوا، ص٥٢٥).

(٢) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص١٥٧.

(٣) ديوان الحطيئة شرح د/ يوسف عيد، ص١١، والأبيات من بحر الوافر.

أَلَمْ أَكُ مُسْلماً ويكُونَ بَيْني وبَيْنَكُمُ المَودَّةُ والإخَاءُ
فلمْ أَشْتُمْ لكُمْ حَسَباً* ولِكنْ حدَوْتُ*بحيثُ يُسْتَمَعُ الحُداءُ*

فالشاعر في هذه الأبيات يشير إلى الأخوة في الإسلام مخاطباً الزبرقان بن بدر وعشيرته قائلاً: مدحتكم فلم تتحركوا فمدحت من يحركه المدح وهم بنو أنف الناقة، فالشاعر لم يسب الزبرقان ورهطه، وإنما مدح منافسيهم، وحين سمع قوم الزبرقان المديح جعلوه ذماً لهم وهجاء لمدحه خصومهم.

فالشعراء في النماذج السابقة وضحوا تصوراً آخرَ من التصورات الإسلامية للإنسان، وهو الأخوة من الناحيتين البشرية والإسلامية، فدعا الشعراء إلى عدم الافتخار بالنسب لتساوي الناس فيه، وأن الافتخار يكون بالعفاف والطهر ورجاجة العقل والأدب، ويكون أيضاً بالتقوى والعمل الصالح، لأن جميع الناس خلقوا من الطين والماء، فليس هناك أفضلية لأحدهم على الآخر، وهناك من الشعراء من دعا إلى التبرؤ من دين آبائه وأجداده لأنه قائم على الشرك بالله ففضل الدخول في الإسلام على نسبه الشريف الذي يفتخر به في الحياة، وفضل الآخرة على الدنيا، وهذا يدل دلالة قاطعة على تأثر هؤلاء الشعراء بما جاء في الآيات القرآنية مما يدور في هذه المعاني، فقد اقتبس الشعراء من هذه الآيات من الألفاظ والمعاني وأضافوا إليها ما يوضح صدقهم في التمسك بالحفاظ على الأخوة البشرية والأخوة الإسلامية.

٧ـ الإنسان والواقع:

تصور الإسلام للإنسان يقوم على الواقعية، فالإسلام "يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه، لا يهمل شيئاً من طاقاته، ولا يفرض عليه ما ليس من طبيعته فالإنسان بدوافعه كلها، بنوازعه كلها، بحالاته كلها، معترف به، ومقبول على ما هو عليه، كل ما في الأمر أن الإسلام يسعى إلى تنظيفه وتهذيبه، ولكنه لا يكبته ولا يحارب فطرته"(١).

(*) حسباً: ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه (مختار الصحاح، مادة حسب، ص١٣٥).
حدوت: الحدو سوق الإبل والغناء لها (مختار الصحاح، مادة حدا، ص١٢٧).
الحداء: الغناء للإبل (المعجم الوجيز، مادة حدا، ص١٤٠).

(١) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص٤٣.

"فالطاقات الجنسية ونزعة التملك، والحب والكره، والنزوع إلى القوة، والرغبة في التغلب والغلب، والطموح إلى الغايات الكبرى ذوات الشأن... حقائق يعترف بها الإسلام، وكل ما في الأمر هو أنه يضع لها الضوابط والقواعد حتى لا تتحول الرغبات الجنسية إلى فواحش، ولا تنقلب نزعة التملك إلى اغتصاب، ولا ينحدر الحب والكره إلى التسفل والأذى، ولا تتحول القوة والرغبة والغايات الكبرى إلى العدوان"(١).

"والشرائع السماوية وعلى رأسها الإسلام لم تغلق في وجه الإنسان باباً من أبواب المحرمات إلا فتحت له باباً من أبواب المباحات، فهي حين حرمت عليه الربا أباحت له الكسب الحلال عن طريق التجارة وغيرها، وحين حرمت عليه غصب أموال الناس وأكلها بالباطل أباحت له التملك، وحين حرمت عليه الزنا أباحت له الزواج ودعته إليه وحضته عليه"(٢).

وقد جاء هذا التصور الإسلامي للإنسان في الكثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا»(٣).

وقوله تعالى: « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ»(٤)،.

وقوله تعالى: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»(٥).

وقوله تعالى: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

---

(١) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ص١٤٢.
(٢) المرجع السابق، ص٩٩، ١٠٠.
(٣) الشمس: الآيات (٧) : (١٠).
(٤) يوسف: الآية (٢٤).
(٥) البقرة: الآيات (٣٥) : (٣٧).

الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»(١).

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا»(٢).

وقوله تعالى: «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»(٣).

وقوله تعالى: «خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ»(٤).

وقد تناول هذا التصور الواقعي للإنسان العديد من الشعراء، فهذا "ابن الرومي" يقول في وصف نفسه(٥):

شكري عتيدٌ* وكذلك حِقْدِي ... للخير والشَّر بقاءٌ عندي
فانظر إذا أسديتَ ماذا تسْدي ... فإن شُكمي* مثله وشُكدي*
كالأرض مهما استُودِعت تؤدي ... وأين عن طينتنا نُعدي
وما طباعي بالطباع الصلد ... لا ينبت البذر ولكن يُكدي*

---

(١) البقرة: الآية (٢٧٥).
(٢) النساء: الآية (٢٩).
(٣) فصلت: الآيتان (٣٤)، (٣٥).
(٤) الأنبياء: الآية (٣٧).
(٥) ديوان ابن الرومي شرح الأستاذأحمد حسن بَسَج، ج١،ص٤٤٩،والأبيات من بحر الرجز.
(*) عتيد: هو الحاضر المهيأ (مختار الصحاح، مادة عتد، ص٤١٠).
شُكمي: الشُكم الجزاء واشُكموه أي أعطوه أجره (مختار الصحاح، مادة شكم، ص٣٤٥).
شُكدي: الشكد العطاء وشكده أي أعطاه أو منحه أو شكره (لسان العرب، ج٤، مادة شكد، ص٢٣٠٥).
يكدي: من أكدى الرجل أي قل خيره (مختار الصحاح، مادة كدي، ص٥٦٥).
آجن: الآجن الماء المتغير الطعم واللون (مختار الصحاح، مادة أجن، ص٧).
سُخد: ماء أصفر ثخين يخرج مع الولد (لسان العرب، ج٣، مادة سخد، ص١٩٦٢).

أحفـــــظ للأعـــــداءِ والأود ما استودعوا من بغضـــةٍ ووُدِّ
ومـــا أتـــو مـــن غَيَّـــةٍ ورشْـــد وخيرُ حوض من حياض نجـــد
أحفظهـــا للمـــاء يـــوم الـــوِرْدِ ومن طيِّـــب وآجـــن* وسُـــخْدِ*
مـــاذا يقـــول القـــائلون بعـــديَ؟

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن واقعه وواقع كل البشر، بأن داخله يوجـد الخيـر والشر، ورد فعله يكون حسب تعامل الآخرين معه، فهو مهيأ وحاضر لأن يشكر الآخـر علـى فعله أو يبغضه ويحقد عليه إذا كان فعله يقتضي ذلك ويطلب من الآخر أن يفكر فيما يُسدى له لأن رده يكون كذلك من الجزاء أو العطاء والشكر ويشبه تعامله مع النـاس بـالأرض فإنهـا تعطيك من جنس ما أعطيتها، ثم ينفي عن نفسه أن يكون طبعه متحجراً، ولكنه بخيلاً يتعامـل بالمثل من البغض والود، أو الضلال والرشد، ويشبه الشاعر نفسه بالماء الذي يأخـذ أشـكالاً متعددة من الطيب أو المتغير، أو الغليظ الجاري، وفي كل الأحوال يتحدث الشاعر عـن واقـع الإنسان وما يعتلج بداخله من المتناقضات التي تظهر على حسب تصرفات الآخرين معه.

وعن الواقع المتغير حتماً كما هي سنة الحياة، يقول "أبو الفرج الهمزاني"[١]:

أيهّا الغافلون عن نُـوب الدّهـــ ـر وناسـون سـطوةَ الأقـدارِ
إنّ هذي الدّيار قـد نُزلَـتْ قبـــ ـل وحُلّت فأين أهـل الـدّيارِ
أين أين الملوك في سالفِ الدّهـــ ـر ومـا أثّـروا مـن الآثـارِ
كـلُّ ذي نخـوةٍ وأمـرٍ مطـاعٍ وامتنـاع وعسـكر جـرّارِ
ملكـوا برهـة فسـادوا وقـادوا ثمّ صاروا أُحدوثـة السُّـمّار*
لم تخلـدهم الكنـوز التـي قـد كنَّزوها مـن فضـةٍ ونُضـار*
لم تغثْهم يـوم الحسـاب ولكـن حملـوا وزرهـا مـع الأوزار

(١) تتمة يتمية الدهر، ج٥، ص٢٩٦، والأبيات من بحر الرمل.
(*) السمار: القوم يتحدثون ليلاً (لسان العرب، ج٣، مادة سمر، ص٢٠٩٠).
ونضار: اسم للذهب والفضة وقد غلب على الذهب (لسان العرب، ج٦، ص٤٤٥٤).

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن واقع الإنسان في النزوع إلى القوة والتملك ضارباً مثلاً بالملوك ومحذراً الغافلين بأن هؤلاء الملوك قد عاشوا على الأرض من قبلكم، وكم جمعوا من الكنوز والأموال وكانوا ذو جاه وسلطان، ولكنهم ذهبوا مع مرور الدهر وصاروا قصصاً وحكايات تُحكى ولم تخلد الكنوز ذكرهم، ولم تشفع لهم يوم القيامة، ولكنها صارت لهم ذنوباً حملوها مع ذنوبهم، فالشاعر يحذر الغافلين من السير على نهج هؤلاء الملوك، ويطلب منهم كبح جماح رغباتهم والسعي إلى تنظيف أنفسهم، وتهذيبها كما جاء في الآيات القرآنية السابقة التي تحدثت عن هذا التصور.

وعن الواقع الذي يجب أن يتخفف الناس منه ما استطاعوا، يقول "أبو منصور محمود بن علي المهلبي العماني"[١]:

قد أُولعَ* النّاسُ في الدّنيا بأربعةٍ أكلٍ وشربٍ وملبوسٍ* ومنكوح
وغاية الكلِّ إن فكّرت فيه إلى روثٍ وبولٍ ومطروحٍ* ومفضَوحِ

يتحدث الشاعر عن واقع البشر وهو التعلق الشديد بهذه الأشياء الأربعة وهي الأكل والشرب والملبس والنكاح، ثم يدعو الشاعر الإنسان إلى التفكر وإعمال عقله في النظر إلى هذه الأشياء الأربعة فيرى أن كل شيء منها ينتهي إلى ما ليس له قيمة فالطعام ينتهي إلى روثٍ، والشراب إلى بول، واللباس إلى شيء يلقي ويهمل، والنكاح إلى شيء فاضح. فالشاعر يدعو الناس إلى تنقية النفس وتهذيبها في عدم التعلق الشديد بهذه الأشياء الأربعة، فنأخذ منها بقدر الحاجة ونحول طاقتنا إلى الأخلاق الرفيعة والمثل العليا في الحياة.

وعن الواقع الذي يعيشه الناس وينهمكون فيه، يقول الحطيئة[٢]:

ولَستُ أَرَى السّعادَةَ جمعَ مالٍ ولكِنَّ التّقيَّ هُوَ السّعيدُ

---

(١) تتمة يتمية الدهر، ج٥، ص٢٩١، والبيتان من بحر البسيط.
(*) أولع: ولع بالشيء أي تعلق به بشدة (المعجم الوجيز، مادة ولع، ص٦٨١).
ملبوس: اللباس وهو ما يستر الجسم (المعجم الوجيز، مادة لبس، ص٥٥٠).
مطروح: منه طرح الشيء أي ألقاه (المعجم الوجيز، مادة طرح، ص٣٨٨).
(٢) ديوان الحطيئة، شرح د/ يوسف عيد، ص٧٢، والأبيات من بحر الوافر.

وتَقْوَى اللهِ خَيرُ الزَّاد** ذُخْـراً* وعنـــدَ اللهِ للأتقـــى مَزيـــدُ
وَمـــا لابُـــدَّ أنْ يـــأتي قريـــبٌ ولكـــنَّ الـــذي يَمْضـــي بَعِيـــدُ

فالشاعر يتحدث عن واقع يعيشه الإنسان وهو حبه لتملك المال وجمعه والشاعر يحـذر الناس بأن هذا الأمر ليس فيه شيء من السعادة، ولكن السعادة في التقوى والعمـل الصـالح، فتقوى الله هي الشيء الذي يدخره الإنسان للآخرة، ثم يوجه الشاعر الإنسان إلى ترك الماضي والعمل من أجل الحاضر والمستقبل حتى يلحق ما فاته من عمل الصالحات التي تمكنـه مـن الفوز والنجاة في الآخرة.

وفي إصلاح الواقع المعاش، يقول سيدنا "علي بن أبي طالب" كرم الله وجه[1]:

تَنَـــزَّهْ عـــن مُجالســـةِ اللئـــام وألْمِمْ* بالـــكرام بنـــي الكـــرامِ
ولا تَـــكُ واثقـــاً بالـــدَّهْر يومـــاً فـــإنَّ الـــدَّهْرَ مُنْحَـــلُّ النظـــامِ
ولا تحْسُدْ على المعـروفِ قومـاً وكن مـنهم تنـل دار السـلامِ
وثـــقْ بـــالله ربـــكَ ذي المعـــالي وذي الآلاء والـــنِّعم الجســـامِ
وكُـــن للعلـــم ذا طلـــبٍ وبحـــثٍ وناقشْ في الحلال وفي الحـرامِ
وبـــالعوراءِ* لا تنطَـــقْ ولكـــن بما يُرضي الإلـــه مـــن الكـــلامِ
وإن خـــان الصـــديقُ فـــلا تخنـــه ودُم بـــالحفظ منـــه وبالـــذِّمامَ*
ولا تحمل على الإخـــوان ضِـــغْناً* وخذ بالصفحِ تنْجُ مـــن الآثـــامِ

(**) الزاد: ما يكتسبه الإنسان من خير أو شر (المعجم الوجيز، مادة زود، ص٢٩٥).
ذخراً: ذخر الشيء جمعه وحفظه لوقت الحاجة إليه(المعجم الوجيز، مادة ذخر، ص٢٤٣).
(١) ديوان الإمام علي ﷺ ، ص٣٧، والأبيات من بحر الوافر.
(*) ألْمِمْ: اللمام اللقاء اليسير وألمم أي خالط (المعجم الوجيز، مادة لمَّ، ص٥٦٥).
العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة (المعجم الوجيز، مادة عور، ص٤٤٠).
الذمام: العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة (المعجم الوجيز، مادة ذمَّ، ص٢٤٦).
ضغناً: حقداً وبغضاً شديداً (المعجم الوجيز، مادة ضغن، ص٣٨١).

ففي هذه الأبيات تحدث سيدنا علي كرم الله وجهه عن صورٍ لواقع البشر محذراً منها وناهياً عنها، وهذه الصور كما يلي:

١ــ التنزه عن مجالسة اللئام والبحث عن الكرام ومخالطتهم والجلوس معهم.

٢ــ عدم الثقة في الدهر، فإنه لا يستقر على حال.

٣ــ النهي عن الحسد لأصحاب المعروف، ولكن الواجب مشاركتهم في فعله.

٤ــ الحث على طلب العلم، ومناقشة الحلال والحرام.

٥ــ عدم النطق بالكلمة القبيحة والحديث بما يُرضي الله سبحانه وتعالى.

٦ــ عدم خيانة الصديق ولكن لابد من المحافظة معه على العهد.

٧ــ البعد عن البغض والحقد الشديدين للإخوان والتعامل معهم بالصفح لكي ننجو من الآثام والذنوب.

وتحدث "أبو هلال العسكري"[١]، عن واقع آخر للإنسان وهو الاستعجال، وذكر قوله تعالى: «خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ»[٢]، حيث نهي الله سبحانه وتعالى عن الاستعجال، وذكر أبو هلال العسكري أن "أبلغ ما قيل في التأني وأجوده وأشده اختصاراً ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفقعسي:

تُقطع بالنزول الأرضُ عنا وبعد الأرضِ يقطعه النزولُ

وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ : "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى"[٣].

وتقول العرب شر السير الحقحقة، وهي شدة السير[٤].

---

(١) هو: "الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال، الإمام اللغوي الأديب، نسبته إلى عسكر مُكرَم من كور الأهواز من أهم مؤلفاته (التخليص في اللغة)، و(جمهرة الأمثال)، و(الصناعتين في النظم والنثر). (راجع الأعلام للزركلي، ج٢، ص١٩٦).

(٢) الأنبياء: الآية (٣٧).

(٣) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير تأليف الإمام جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط دار القلم للتراث، ص٩٠.

(٤) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، ج١، ص١٢٤.

وفي نفس هذا المعنى من التأني، قال أبو هلال العسكري:

وحطَّ* بها أكوار*خوصٍ* لواغب* يقلُّ إكثار الذميل* ذميلُها
نُغِضْ عبرةً حلَّ الفراقُ عقالها* وأقلقَ هجران الحبيبِ مقيلها
فلا غروَ إن فاضت دموعُ متيمٍ على الدار يسقى ظلَّهن طلولها(١)

ويعني أن الراحة أو الرحل اللين يقلل من إكثار السير السريع اللين، فهو يستريح بعد النشاط والتعب مما يقلق من أضناه الهجر، والمنتظر الوصال، ومما يجعل المتيم تفيض دموعه على الإطلال التي تركتها المحبوبة لبعدها عن أرضه، مع الرحل الذي يستريح ويقطع المسافات.

ومن المشهور في التأني قول القطامي:

قد يُدركُ المتأني بعض حاجتهِ وقد يكون مع المستعجلِ الزللُ(٢)

وقال غيره:

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدهِ ولم يدر ما يلقاه حين يُبادرُ(٣)

وقيل لبعض العلماء لمَ لم يقل الشاعر: "كلَّ حاجته" بدلاً من قوله: بعض حاجته، فيكون أبلغ، قال: ليس "كل" من كلام الشعر، ولو قال كل حاجته لكان متكلفاً مردوداً"(٤)، لأن واقع الأمريتيح للمتأني الحصول على بعض مايسعى إليه.

(*) حط بها: خلع عنها للراحة، أو وضع عليها رحلاً ليناً.

أكوار: جمع كُور وهو الرحل وقيل الرحل بأداته (لسان العرب، ج٥، مادة كور، ص٣٩٥٢).

خوصٍ: الخوص ورق المقل والنخل والنارجيل وما شاكلها (لسان العرب، ج٢، مادة خوص، ص١٢٨٨).

لواغب: اللغوب التعب والإعياء (لسان العرب، ج٥، مادة لغب، ص٤٠٤٦).

الذميل: ضرب من سير الإبل هو السير السريع اللين والذميل العيب الداعي إلى الراحة (لسان العرب، ج٣، مادة ذمل، ص١٥١٦).

(١) الأبيات من بحر الطويل.

(٢) البيت من بحر البسيط.

(٣) البيت من بحر الطويل.

(٤) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، ج١، ص١٢٤ (بتصرف).

وقال ابن عربي متحدثاً عن واقع الإنسان في النزوع إلى القوة والإساءة إلى الآخرين، ولكن القرآن الكريم ينهاه عن ذلك ويأمره بدفع السيئة بالحسنة ومن ثم يصير العدو صديقاً مستعيناً بقوله تعالى: «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»(١).

إذا رأيت مسيئاً يبتغي ضررا ... فداره ثم لا تُظهر له خبرا
وادفع أذاه بما تُوليه من حسن ... وامنن عليه ولا تُعلم به بشرا
فإن ذلك أكسير* وقوّته ... أن تقلب العين والأجساد والصورا
يرجع عدوك صديقاً فتأمنه ... ولا تخف منه أضراراً ولا ضررا
وما يلقاها إلا صابر وله ... حظ من العلم لما أمعن النظر(٢)

فهنا يحذرنا الشاعر من الشخص المسيء ويوصينا بأن ندفع ضرره عنا، ولكن لا نظهر له ذلك، ولكن نظهر له المعاملة الحسنة والإحسان والإنعام عليه. ولا نعلم الآخرين بهذا الإحسان، ويعد الشاعر هذه الطريقة في المعاملة هي الإكسير الذي يغير هذا الشخص ويقلبه من عدو إلى صديق، فنكون آمنين من ناحيته ولا نخف الضرر منه، ويختم الشاعر هذه الصورة في المعاملة كما خُتمت في الآية الكريمة بأن هذا الأمر لايستطيعه ولا يقدر عليه إلا من أوتي حظاً كبيراً من الصبر والعلم من خلال إمعان النظر والتفكر في كل ما يَعْرِض له من أمور.

وقال أبو الصوفي سعيد بن مسلم العُمَاني(٣)، مخمساً في مدح جلالة السلطان المعظم

---

(١) فصلت: الآية (٣٤)، (٣٥).

(*) اكسير: مادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب، أو هي شراب في زعمهم يطيل الحياة (المعجم الوجيز، مادة الإكسير، ص٢١).

(٢) ديوان ابن عربي، تعليق محمد ركابي الرشيدي، ص١٣٧، والأبيات من بحر البسيط.

(٣) هو أبو الصوفي سعيد بن مسلم بن سالم المجيزي السمايلي من شعراء أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، لم ترد له ترجمة إلا ما كتبه المشرف على الطبعة الأولى من الديوان في مقدمته واستخلص منه محقق الديوان د/ حسين نصار ما يلي: "أن والد الشاعر وأعمامه كانوا في خدمة حكومة مسقط، وأن الشاعر بدأ حياته كاتباً صغيراً، ثم أخذ يترقى إلى أن صار كاتب السلطان فيصل بن تركي، وسميره ومحل ثقته، ويدل الشعر أن أبا الصوفي كان شاعر السلطان=

فيصل بن تركي بن سعيد[١]:

جانِبْ مَساعي الشـرِّ لا تـكُ لاهِيـا فلأَنت من تُـرْب الأراضـي ناشِـيا

وأَرِقْ دموعَـك نادِمـا لا شـاكِيا أنـت الـذي ولـدتْكَ أُمُّـك باكيـا

والنـاسُ حولـك ضـاحكون سـرورا

لا تشكونْ نُوَبَ*الزمان كمـن شَـكوا وأَقِلَّ*الذين على المَعاصي قد كَبَـوا

وكن الجمالَ لدى المجالس إنْ حَكـوا وأجهد إلى عمـلٍ تكـون إذا بكـوا

فـي يـوم موتِـك ضـاحكاً مسـروراً

يخاطب الشاعر الممدوح طالباً منه التغلب على واقع البشر فيوجهه إلى التـذكر دائمـاً بأنه مخلوق من التراب، وهذا يبعده عن ارتكاب المعاصي، ويطلب منه إراقة الـدموع لأجـل الندم وليس للشكوى ويطلب منه أيضاً عدم الشكوى من مصائب الدهر ونوائبه، وأن يـبغض الذين عكفوا على ارتكاب المعاصي، وأن يتحلى بجمال الأخلاق في المجالس، وأن يجتهد فـي عمل الفضائل. والشاعر في هذه الأبيات لا ينكر واقع البشر وإنما ذكر بعض صـوره وحـذر الناس منها من خلال مدحه للسلطان المعظم فيصل بن تركي.

وعن الواقع المثالي الذي تحقق فـي عهـد الخليفـة الراشـد عمـر بـن الخطـاب،

=فيصل بن تركي، وابنه السلطان تيمور، وأن جل الديوان لهما يمدح ويرثي ويلبي كل رغبة من رغباتهما وما يبتعد عنها نادر، وهو في الصفحات الأخيرة من الـديوان، وتبـدو فـي الـديوان الظواهر التي غلبت على الشعر العربي في عصر الضعف، ولغة الديوان لا تتفق مع مبادئ النحو والصرف العربيين، وأن كثيراً منها مأخوذ عن العامية العمانية أو أخطاء وقع فيهـا الشـاعر". (راجع ديوان أبي الصوفي سعيد بن مسلم العُماني، تحقيق د/حسين نصار، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط عيسى البابي الحلبـي وشـركاه، كلمـة المحقـق نهايـة الـديوان ص٣٥٣، ٣٥٤).

(١) ديوان أبي الصوفي، ص٢٢٢، والأبيات مخمسات من بحر الكامل.

(*) نوب: المصائب (مختار الصحاح، مادة نوب، ص٦٨٤).

وأَقِلّْ: القلي البغض (مختار الصحاح، مادة قلا ، ص٥٥٠).

قال حافظ إبراهيم[١]، بعنوان: "مثال من تقشفه وورعه"[٢]:

إنْ جاعَ فــي شِــدَّة قَــوْمٌ شَــرِكْتَهُمُ ... في الجُوع أو تَنْجَلي عنهم غَواشِــيها*
جُوَعُ الخَليفةِ ــ والــدُّنيا بقَبْضَــتِهِ ــ ... في الزُّهْدَ مَنْزِلَــةٌ سُــبحانَ مُوليهــا
فمن يُبارِي (أبــا حفــصٍ) وســيرَتَهُ ... أو من يُحــاولُ (للفــاروقِ) تَشْــبيها
يوم اشتهتْ زوجُه الحلوى فقال لها: ... من أينَ لي ثمنُ الحلــوَى فأَشْــرِيها
لا تمتطِي شَــهَواتِ الــنفسِ جامحــةً ... فكِسْرَةَ الخبزِ عن حلــواكِ تَجْزِيهــا
وهل يَفِي بيتُ مالِ المســلمين بمــا ... توحِي إليــكِ إذا طاوَعْــتِ مُوحِيَهــا
قالت: لــكَ اللهُ إنِّــي لَسْــتُ أَرْزَؤُه* ... مَــالاً لحاجَــةِ نفــسٍ كنــتُ أَبْغِيهــا
لكِــنْ أُجَنِّــبُ شــيئاً مــن وَظِيفتنــا ... في كلِّ يــومٍ علــى حــالٍ أسَــوِّيها
حتــى إذا مــا مَلَكْنــا مــا يُكافِئهــا ... شَــرَيْتُها ثُــمّ إنِّــي لا أثَنِّيهــا

---

(١) هو محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، ولد في ذهبية بالنيل، كانت راسية أمام ديروط عــام ١٢٨٧هـ ــ١٨٧١م، توفى أبوه بعد عامين من ولادته، ثم ماتت أمه بعد قليل، وقد جاءت به إلى القاهرة، فنشأ يتيماً، ونظم الشعر في أيام الدراسة، وعمل محامياً ثم التحق بالمدرســة الحربيــة وتخرج سنة ١٨٩١م، وسافر مع حملة السودان فأقام مدة في سواكن الخرطوم وألف مع بعض الضباط المصريين جمعية سرية اكتشفها الإنجليز فحاكموا أعضائها ومنهم حافظ إبراهيم، فأحيــل إلى الاستيداع، فلجأ إلى الشيخ محمد عبده وكان يرعاه، فأعيد إلى الخدمة في البوليس، ثم أُحيل إلى المعاش فأشتغل محرراً في جريدة الأهرام، ولقل بشاعر النيل، وطار صيته، واشتهر شــعره ونثره وعين رئيساً للقلم الأدبي في دار الكتب المصرية عام ١٩١١م، فاستمر إلى قبيل وفاتــه، من أهم مؤلفاته "ديوان شعر"، و"البؤساء"، و"ليالي سطيح"، وتوفى عــام ١٣٥١هـ ــــ١٩٣٢م. (راجع الأعلام ج٦ ص٧٦ بتصرف).

(٢) ديوان حافظ إبراهيم شرح وترتيب أحمد أمين ــ أحمد الزين ــ إبراهيم الإبياري، ج١، ط الهيئــة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٠م، الطبعة الثانية، ص٩٣، ٩٤، والأبيات من بحر البسيط.

(*) غواشيها: من قولهم غشي الأمر فلاناً أي غطاه وحواه (المعجم الوجيز، مادة غشي، ص٤٥١).
أرزؤه: ارتزأ الشيء انتقص (لسان العرب، ج٣، مادة رزأ، ص١٦٣٤).
كاسيها: الكسوة اللباس (لسان العرب، ج٥، مادة كسا، ص٣٨٧٩).
بموفية: وفي الشيء وفيا على فعول أي تم وكثر (لسان العرب، ج٦، مادة وفى، ص٤٨٨٤).

قال: اذهَبي واعلَمِي إنْ كنتِ جاهِلَــةً أنَّ القناعةَ تغنِــى نفــسِ كاسِــيها*
وأقبَلَتْ بعــد خَمْــسٍ وهــي حاملــةٌ دُرَيْهمـــاتٍ لِتقضــي مــن تِشَــهيِّها
فقال: نَبَّهْــتِ مِنِّــي غــافِلاً فَــدعِي هذي الدَّرَاهِمَ إذْ لا حَــقَّ لــي فِيهــا
ويْلِي على عُمَــرٍ يَرْضَــى بموُفِيــةٍ* على الكَفــافِ ويَنْهَــى مُسْــتَزِيديها
ما زَادَ عن قُوتنــا فالمُســلمُون بــه أَوْلَى فقُــومِي لِبَيْــت المــال رُدِّيهــا
كذاكَ أَخْلَاقُــه كانــت ومــا عُهِــدَتْ بعـــد النُّبُـــوّةِ أَخْلَـــاقٌ تُحَاكِيهـــا

فالشاعر يشير في هذه الآبيات إلى حادثتين من تقشف سيدنا عمــر بــن الخطــاب ﷺ، **الأولى:** ما يحكي عنه من أنه كان إذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته، ويأخــذ طعامــه ويشترك مع القوم إلى أن تنتهي المجاعة، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون، **والثانية:** ما حكي عنه من أن امرأته اشتهت الحلوى، فادّخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفي لصنعها، فلما نمى هذا إلى سيدنا عمر ردّ ما ادّخرت إلى بيت المــال، ونقــص مــن نفقتها بقدر ما ادّخرت.

فالشاعر في هذه الأبيات يشير إلى واقع النفس الإنسانية حينما تشتهي بعض الأشــياء مــن خلال الحديث عن زوجة خليفة من الخلفاء الراشدين حتى نعلم أن الإسلام لا يجهل هــذه الوقــائع، وإنما يتعامل معها من خلال الحث على تهذيب النفس، وكبح جماح رغباتها، فسيدنا عمر لم يعنــف زوجته أو يشير أنها ارتكبت ما هو مخالف لشرع الله وإنما تحدث معها من خلال تحليها بالقناعــة وتخليها عن شهوات النفس ورد ما زاد معها من الأموال إلى بيت مال المسلمين.

وعن واقع الحكماء، والعقلاء الذي صادق الحقيقة، قال "حسان بــن ثابــت"[١] فــي الحكــم والمواعظ[٢]:

(١) هو: "حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي ﷺ ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وكان من سكان المدينة، وعمي قبل وفاته، وكان في الجاهلية شــاعر الأنصــار، وكــان شــديد الهجاء، ولم يشهد مع النبي ﷺ مشهداً لعلة أصابته، توفى بالمدينة عام ٥٤هـ ـ٦٧٤م". (راجــع الأعلام، المجلد الثاني، ص١٧٥).

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبدالرحمن البرقــوقي، ط دار الأنــدلس، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص٣١٥ : ٣١٧، والأبيات من بحر الكامل.

أَعْرِضْ عن العَـوْرَاءِ* أَنْ أُسْـمِعَتَهَا ... واقْعُـدْ كأنَّـكَ غَافِـلٌ لا تَسْـمَعُ
وَدَع السُّؤَالَ عـن الأُمُـورِ وبَحْثَهـا ... فلَرُبَّ حَـافِرِ حُفْـرَةٍ هـو يُصْـرَعُ*
والْـزَمْ* مُجَالَسَـةَ الكـرامِ وفِعلَهُـمْ ... وإذا اتَّبَعْـتَ فأبْصِـرَنْ مـن تَتْبَـعُ
لا تَتْـبْعَنَّ غَوَايَـةً* لصَـبابَة ... إن الغَوَايَـة كـل شَـرٍّ تَجْمَـعُ
والقومُ إن نُزِرُوا* فزد فـي نَـزْرِهِمْ ... لا تَقْعُـدَنَّ خِلَـالَهُمْ تَتَسَـمَّعُ
والشُّرْبَ لا تُـدْمِنْ وخُـذْ معْروفَـةً* ... تُصْبِحْ صـحيحَ الـرَّأْسِ لا تَتَصَـدَّع
وَاكْـدَحْ بنفسِـكَ لا تُكلِّـفْ غيْرَهـا ... فَبِـدِيْنَها تُجْـزي وعَنْهَـا تَـدْفَعُ
والمـوتُ أعـدادُ النفـوسِ ولا أَرَى ... مِنـهُ لِـذِي هَـرَبٍ نَجَـاةٍ تَنْفَـعُ

والشاعر في هذه الأبيات يطلب الإعراض عن الكلمة القبيحة التي تهوي في غير عقل ولا رشد، كما يطلب ترك السؤال وذلك امتثالاً لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ»(١).

وقد نهي رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال فلربما شخص حفر حفرة فيصرع فيها هو كالباحث عن حتفه بظلفه، ورأي الشاعر أن من يجالس الناس فعليه أن يختار الكرام منهم ويقلدهم في فعلهم، وإذا اتبع شخص فعليه أن يتفحص جيداً فيمن يتبعه وعليه أن يبتعد عن اتباع الشهوات لأنها جامعة لكل شر، ويقول إن القوم إن سُئلوا فأعطوا قليلاً فأرفد معهم وزد عليهم ولا تقعد، ويطلب من الشخص ألا يشرب الراح، وأن يشرب الأشياء غير المحرمة، كما يطلب تحقيق المعنى القائل ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك.

(*) العوراء: الكلمة القبيحة وهي السقطة (مختار الصحاح، مادة عور، ص٤٦١).
يصرع: الصرع الطرح بالأرض (لسان العرب، ج٤، مادة صرع، ص٢٤٣٢).
والزم: لزم الشيء ثبت ودام (المعجم الوجيز، مادة لزم، ص٥٥٦).
غواية: الغي الضلال والخيبة (مختار الصحاح، مادة غوى، ص٤٨٥).
(*) نزروا: النزر القليل التافه (لسان العرب، ج٦، مادة نزر).
معروفة: العرفان العلم (لسان العرب، ج٤، مادة عرف، ص٢٨٩٧).
(١) المائدة: الآية (١٠١).

فالشاعر هنا يطلب الحث على الطاعة وكسب الفضائل، وفي المثل كما تدين تدان، أي كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب عملك، ويقول لكل إنسان ميتة فإذا ذهبت النفوس ذهبت ميتهم كلها.

فكل ما طلب الشاعر الابتعاد عنه هي أمور واقعية بالنسبة للإنسان وهو يسير على نفس النهج القرآني الكريم، فكما أن القرآن الكريم اعترف بواقع الإنسان، وإن كان سيئاً إلا أنه اكتفى بالتحذير منه وطلب من الإنسان أن يحسن الاختيار، فعل الشاعر كذلك في هذه الأبيات حينما ذكر أموراً واقعية للإنسان وحذر منها.

فالشعراء في النماذج السابقة تحدثوا عن واقع الإنسان الذي لا ينكره الإسلام وقد وضع الشعراء لهذا الواقع ضوابط وقواعد محددة حتى لا يتحول هذا الواقع إلى ارتكاب المحرمات، وهذا ما دعت إليه الآيات القرآنية، فكان من الشعراء أن اهتدوا بها واقتبسوا منها.

٨ـ الإنسان والاضطرابات النفسية:

الإسلام في تصوره للإنسان لا يُهمل ما يتعرض له من اضطرابات نفسية ويعالجها، وقد جاء هذا التصور الإسلامي للإنسان في العديد من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً»[١]. وقوله تعالى: «فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»[٢]. وقوله تعالى: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ»[٣].

وقد تناول هذا التصور المعالج للإنسان العديد من الشعراء، فهذه الشاعرة المتصوفة "سكينة بنت الحسين"[٤].

---

(١) الأحزاب: الآية (٣).

(٢) البقرة: الآية (١٣٧).

(٣) الزمر: الآية (٣٦).

(٤) هي: سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، كانت سيدة نساء عصرها، ومن أجمل النساء وأحسنهن أخلاقاً، وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها، ثم تزوجها عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام فولدت له قُريناً، ثم تزوجها الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان، وفارقها قبل الدخول، ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ﷺ ، فأمره=

تقول(١):

سَهِرَتْ أَعْيُنْ وَنَامــت عيــونُ　　في أمورٍ تكونُ أو لا تكــونُ

إن ربّاً كفاك ما كــان بالأمـــ　　سِ سيكفيك في غد ما يكونُ

فالشاعرة هنا تتحدث عن بعض الاضطرابات النفسية التي قد يتعرض لها الناس، فكثيراً من الناس يقضون حياتهم في التوجس من الغد المجهول... من أمور "تكــون" أو "لا تكــون" ويصل هذا التوجس عند كثير من الناس إلى حد القلق المدمر الذي يتلــف المشــاعر ويفســد الحياة، هل يكون كذا أم لا يكون؟ وماذا إذا كان؟ وماذا إذا لم يكن؟ ويقضون الحياة فــي هــذه الفروض والتوقعات، يبددون طاقتهم في القلق والتوجس...والشاعرة تنهاهم عن هــذا القلــق المفسد للحياة المدمر للأعصاب وهي تنهاهم بحقائق تلقّاها قلبها الكبير في سياحته إلى الله... فهي تدعوهم إلى التسليم لله والتوكل عليه، وإن كان هذا التسليم والتوكل لا يغير شــيئاً مــن أحداث القدر، فهو يغير طعمها في النفس! فلا تتهاوى في مهاوي اليأس ولا تذهب حســرات! وهذا الإنسان الذي يتوجس اليوم من الغد المجهول أما واجهته بالأمس أحداث وأحداث؟ كيــف نجا منها وعاش؟ أو ليس الله هو الذي كفاه ما كان بالأمس؟ أفلا يدع له كذلك ما يكــون مــن أمر الغد فيكفيه إياه كما كفاه ما كان بالأمس؟(٢).

وفي إيثار السلامة والخوف من العواقب غير المحمودة، يقول "ابن الرومي"(٣):

أذاقتنيَ الأســفارُ مــا كَــرَّه الغِنَــى　　إلــيَّ وأغرانــي بــرفض المطالــبِ

=سليمان بن عبدالملك بطلاقها ففعل، ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم، وكانــت وفاتها بالمدينة يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة، رضــي الله عنها، وقيل اسمها آمنة، وقيل أمينة، وقيل أميمة، وسكينة لقب لقبتها به أمها الرباب ابنــة امرئ القيس بن عدي. (راجع وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨ــ٦٨١هـ)، تحقيق د/ إحسان عباس، المجلد الثاني، ط دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص٣٩٤ : ٣٩٧ بتصرف).

(١) منهج الفن الإسلامي، ص٢٠٣، والبيتان من بحر الخفيف.

(٢) منهج الفن الإسلامي، ص٢٠٣ (بتصرف).

(٣) ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ/ أحمد حسن بَسج، ج١، ص١٣٥، والأبيات من بحر الطويل.

فأصبحتُ في الإثراء* أزهدَ زاهدٍ ... وإن كنتُ في الإثراء أرغبَ راغبِ
حريصاً، جباناً، اشتهي ثم انتهي ... بلَحْظي جناب* الرزق لحظَ المراقبِ
ومن راح ذا حرص وجبن فإنه ... فقير أتاه الفقر من كل جانبِ
ولما دعاني للمثوبة سيد ... يرى المدح عاراً قبل بَذْ المثاوبِ
تنازعني رَغْبٌ ورهب كلاهما ... قويٌ، وأعياني اطِّلاع المغايبِ
فقدمتُ رجلاً رغبةً في رغيبةٍ ... وأخّرتُ رجلاً رهبةً للمعاطبِ*
أخافُ على نفسي وأرجو مَفازَها ... وأستارُ غَيْبِ اللهِ دون العواقبِ
ألا من يريني غايتي قبل مذهبي؟ ... ومن أين والغاياتُ بعد المذاهبِ؟!

فهذه الأبيات تُعتد وصفاً لمشاعر خاصة لإنسان "ما" تصور طبيعة خاصة ليست هي الطبيعة الإسلامية، فإيحاءات التصور الإسلامي لا تدعو إلى كل هذا القلق، وإلى كل هذا التردد، وإلى إيثار العافية على المخاطرة، إنها طبيعة "ابن الرومي" خاصة، الطبيعة المتوفزة (المتعجلة) القلقة، فإذا وصل إلى البيتين الأخيرين نقلنا من تلك الحالة الخاصة لإنسان ما إلى "الإنسان" كله وموقفه من الغيب المجهول، والقدر المستور، فهي نقلة واسعة، فمن تتبع الخلجات الخاصة لشخص معين نراه أمامنا على اللوحة ينفتح المنظر في لحظة، فإذا نحن نطل على رقعة فسيحة تشمل كل الحياة، وكل "الإنسان" واقفاً أمام ستر الغيب المسدل، يحاول جاهداً أن يمتد ببصره إلى ما وراءه، وأن يقرأ الصفحة التي تليه، ويظل يتطلع في لهفة وتشوق، حتى يدرك أن ليس إلى شيء من ذلك سبيل، وأن الغايات بعد المذاهب، ولا يمكن أن تكون خلاف ذلك، فهذه حقيقة الواقع ليس لها من تبديل! هنا ننتقل من الرقعة المحدودة الصغيرة إلى الرقعة الفسيحة التي لا تزول، لأنها تتصل بناموس الكون الشامل الكبير(١).

(*) الإثراء: من أثرى الرجل أي كثرت أمواله (مختار الصحاح، مادة ثرى، ص٨٣).
(*) جناب: الجناب الناحية (المعجم الوجيز، مادة جنب، ص١١٩).
المعاطب: المهالك (مختار الصحاح، مادة عطب، ص٤٣٩).
(١) منهج الفن الإسلامي، ص٢٠٤، ٢٠٥ بتصرف.

وعن واقع المنافقين المضطرب المخالف لحقائق الأشياء ما قاله سيدنا "علي بن أبي طالب" من خلال موقف تعرض له[١]:

ألا باعَدَ الله أهلَ النفاق ... وأهْلَ الأراجيفِ والباطِلِ
يقولون ليّ قد قلاك الرسولُ ... فَخَلَّاكَ في الخالِفِ الخاذِلِ
وما ذاك إلا لأنَّ النبيَّ ... جفاك وما كان بالفاعِلِ
فسرْتُ وسيفي على عاتقي ... إلى الراحم الحاكم الفاصِلِ
فلمَّا رآني هفا قلبُهُ ... وقال مقال الأخ السائلِ
أمِمَّنْ ابن لي فانْبَأتُهُ ... بإرجاف* ذي الحسد الداغلِ*
فقال أخي أنتَ من دونهم ... كهارون مُوسى ولم يأتَلِ

"روي أن رسول الله ﷺ لما سار إلى غزوة تبوك واستعمل على المدينة علياً فتبعه علي وقال: يا رسول الله زعمت قريش أنك إنما خلفتني استثقالاً ليّ، فقال ﷺ : طالما آذت الأمم أنبياءها يا علي أما ترضى بأنك وزيري وخليفتي وقاضي ديني ومنجز وعدي لحمك لحمي ودمك دمي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فقال رضيت وأنشأ هذه الأبيات"[٢].

وعن الواقع المرير الذي يلاقيه البشر بعد التعب والعناء مما هو مخالف للتوقعات، أو ما يكون من قبيل المفاجآت، ما قاله "حافظ إبراهيم"، بعنوان: "الإخفاق بعد الكد"[٣]:

ماذا أَصَبْتَ من الأَسفارِ والنَّصَبِ ... وطَيِّكَ العُمرَ بين الوَخْدِ** والخَبَبِ*؟

---

(١) ديوان الإمام علي، تحقيق مركز البيان العلمي، ص٥٧، ٥٨، والأبيات من بحر المتقارب.

(*) إرجاف: الإرجاف الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطرابات والجمع أراجيف (المعجم الوجيز، مادة رجف، ص٢٥٧).

الداغل: الذي يبغى أصحابه الشر ويضمره لهم ويحسبونه يريد لهم الخير (المعجم الوجيز، مادة دغل، ص٢٢٩).

(٢) ديوان الإمام علي، ص٥٧.

(٣) ديوان حافظ إبراهيم، ج٢ ص١١٦:١١٨، والأبيات من بحر البسيط.

(**) الوخد: سعة الخطو في المشي (لسان العرب، ج٦، مادة وخد، ص٤٧٨٩).

الخبب: السرعة (لسان العرب، ج٢، مادة خبب، ص١٠٨٥).

نَـــراكَ تطلُـــبُ لا هَوْنـــاً ولا كَثَبَـــاً* ولا نـــرى لـــك مـــن مـــالٍ ولا نَشَـــبِ
لا تُطْعِمـــانِي أَنْيـــابَ المـــلامِ علـــى هـــذا العِثـــارِ فـــإنِّي مَهْـــبِطُ العَجَـــبِ
ودِدْتُ لو طَرَحُوا بي يـــوم جِئـــتُهُمُ في مَسْبَحِ الحوتِ أو في مسرِحَ العَطَـــبِ*
لعـــلَّ (مـــانِيَ)* لاقَـــى مـــا أكابِـــدُه فـــوَدَّ تَعْجِيلَنَـــا مـــن عـــالم الشَّـــجَبِ*
إنِّي احتســـبتُ شـــباباً بـــتُ أُنفِقُـــه وعزْمَـــةٍ شـــابت الـــدُّنيا ولـــم تَشَـــبِ
كم هِمْتُ فـــي البيـــدِ والآرَامُ قائِلَـــةٌ والشمسُ تَرْمِـــي أَدِيـــمَ الأرضِ باللَهَّـــبِ
وكم لَبستُ الدُّجَي والتُّـــربُ ناعِســـةٌ والليلُ أهـــدأ مـــن جَـــأْشٍ لَـــدَى النُّـــوبَ
والنَجمُ يَعْجَبُ من أمري ويَحَســـبُني لـــدى السُّـــري ثامِنـــاً للسَّـــبعةِ الشُّـــهُبِ
لكنّني غيرُ مجـــدُودٍ* ومَـــا فَتِئَـــتْ يـــدُ المقـــادير تُقْصِـــيني عـــن الأَرَبِ*
وقـــد غـــدوتُ وآمـــالِي مُطرَّحَـــةٌ* وفي أمـــورِيَ مـــا للضّـــبِّ* فـــي الـــذنَبِ

فهذه الأبيات تُعد وصفاً لمشاعر تعترك داخل الشاعر فهو يتحدث عن حالة نفسية يمـــر بها حيث إنه لم يحصل على نتيجة سعيه وكده وجهده فشعر بالإخفاق، فيخاطب نفسه قائلاً: ما الذي حصلتَ عليه من وراء هذه الأسفار الكثيرة والتعب وقضـــاء عمـــرك مســـرعاً مـــتعجلاً،

(*) كثباً: يقال رماه من كثب أي قرب وتمكن (المعجم الوجيز، مادة كثب، ص٥٢٨).
نشب: عقار (المعجم الوجيز، مادة نشب، ص٦١٥).
العطب: الهلاك (مختار الصحاح، مادة عطب، ص٤٣٩).
ماني: هو ماني الثنوى صاحب مذهب المانوية المشهور، وكان ماني يرى وجوب تعجيل الفنـــاء للبشر بقطع النسل، وقد ظهر ماني في أيام سابور بن أرد شير، وقُتل في زمن بهرام بن ســـابور (ديوان حافظ إبراهيم، ج٢، ص١١٧).
الشجب: الحزن والهلاك (لسان العرب، ج٤، ص٢١٩٦).
مجدود: الجد الحظ والسعادة والغنى (لسان العرب، ج١، مادة جدد، ص٥٦٠).
الأرب: الحاجة (لسان العرب، ج١، مادة أرب، ص٥٤).
مطرحة: من قولهم أطرحه أي أبعده (لسان العرب، ج٤، مادة طرح، ص٢٦٥١).
الضب: دويبة من الحشرات يحرص العرب على صيده وأكله وهو أحرش الذنب خشـــنه مفقـــره (لسان العرب، ج٤، مادة ضبب، ص٢٥٤٣).

وأنت تطلب حاجات ليست بالهينة ولا القريبة، ولا نرى عائداً لك من وراء هذا الشقاء، ثم يطلب عدم اللوم عليه لأن تعثره هذا مدعاة للعجب.

وتسوء حالته النفسية ويتمنى لو طرحه أهله يوم ولادته في قاع البحر أو في طريق من طرق الهلاك، ويشبه حاله بحال "ماني الثنوى" الذي كان يود تخليص الناس من الحزن والعنت الذي يصيب الإنسان من مرض وغيره، ثم تهدأ نفسه قليلاً حينما احتسب شبابه وعزمه عند الله وعدهما فيما يُدخر له من أجر وثواب، وتثور نفسه ثانية حين يعدد صور الكد والتعب قائلاً بأسلوب المتكلم كم من مرة همتُ على وجهي في الصحراء في وقت تكون فيه الحرارة شديدة، وأشار إلى الظباء لأنها لا تستكن إلا إذا اشتد القيظ، وأشار أيضاً إلى أن حرارة الشمس تجعل ظاهر الأرض وباطنها كأنه اللهب مما يدلل على مدى كده وتعبه في الحياة، ثم أشار الشاعر إلى وجه آخر من وجوه الكد والتعب بأنه يتحرك في الظلام الدامس، وفي أماكن قليلاً ما يسير الناس فيها، ويكون هدوء الليل أشد من هدوء نفسه، واطمئنانها عند نوائب الدهر والنجم يعجب من أمره حتى يحسبه ثامن الكواكب السبعة، ثم يعود الشاعر لتهدأ نفسه مرة أخرى حين يرى أن إخفاقه يرجع إلى أنه غير محظوظ، ويرد الأمور إلى المقادير التي تُقصيه عن الوصول إلى غايته، ويسلم في نهاية الموقف بأن آماله بعيدة ومعقدة كأنها ذنب الضب الذي يضرب به المثل في التعقيد.

فالشاعر هنا يناقش حالة من حالات الاضطرابات النفسية التي يمر بها الإنسان، وهي السعي دون جدوى فيوضح مدى الكد والمعاناة التي مر بها دون تحصيل نتيجة، فيظهر لديه هذا الصراع النفسي، ونرى المرارة في شكواه، ولكنه يستدرك خلال الأبيات وفي نهايتها بأنه يحتسب جزاء كده وتعبه عند الله فيما يدُخر له من أجر وثواب، وأن يرد كل هذه الأمور إلى القدر.

فالشعراء في النماذج السابقة وضحوا تصوراً مهماً من التصورات الإسلامية للإنسان، وهي حالته النفسية وما يتعرض له من اضطرابات، فدعا الشعراء من خلال النماذج إلى التغلب على هذا الواقع المضطرب والاعتماد على الله والتوكل عليه، وعدم الخوف من المجهول، والتسليم بالقضاء والقدر، وهذا ما حضت عليه الآيات القرآنية، فنهل من هديها الشعراء واقتبسوا منها نوراً عالجوا به أمراض النفوس ووساوس الصدور، إذ إنه بالرجوع إلى الله ومداومة الذكر والقرب تهدأ النفوس وتطمئن القلوب، وقد قال ﷺ : عليكم بالشفاءين العسل والقرآن[١].

---

(١) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام جلال الدين السيوطي، ص٢٠٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي انتظم له ما في الوجود، وخص نبيه وحبيبه بالحوض المورود، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته أرباب الشمائل والعهود، ورضي الله عن التابعين وتابع التابعين الذين تاقوا لرؤية النبي الكريم في جنات الخلود.

وبعد،،

فيطيب لي أن أسطر أهم نتائج الدراسة والبحث، وهي كما يلي:

١ــ الأدب الإسلامي صانع للحياة والرقي والتقدم والخلود.

٢ــ الأدب الإسلامي يصادف الواقع الحقيقي ويتعامل معه ويحتويه ويسوسه ويهديه.

٣ــ نظم الأدب الإسلامي في كل التصورات الدقيقة المتعلقة بالإنسان واصفاً لها الحلول والدواء الشافي.

٤ــ يسعى الأدب الإسلامي إلى تنظيم الشهوات وتهذيب الرغبات فهو لا يحارب الفطرة ولا يكبتها.

٥ــ يعلو الأدب الإسلامي بالإنسان فيجعله محموداً ممدوحاً.

٦ــ يؤكد الأدب الإسلامي على أن إنسانية الإنسان تتحقق في الازدواجية ما بين المادية والروحية.

٧ــ يأخذ الأدب الإسلامي على عاتقه تهذيب النفس وتدريبها وتقويمها بالعرض على منهج خالقها وباريها.

٨ــ يعلي الأدب الإسلامي من شأن الأخوة الإنسانية بصفة عامة والأخوة الإسلامية بصفة خاصة.

٩ــ الأدب الإسلامي يعالج الاضطرابات النفسية ويصنع الوئام والانسجام بينك وبين الناس، ويفتح باب القرب والحب بينك وبين الله.

١٠ــ الأدب الإسلامي يخفف الأعباء عن كاهل الإنسان بتوكله على خالقه في إنجاز المهمـــات وتخطي الصعوبات، ثم الرضا بما نزل مما هو من محتوم القضاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم وبارك على ســيدنا محمــد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. نجلاء عبدالمطلب عبدالرحيم

مدرس الأدب والنقد

كلية البنات الإسلامية بأسيوط

جامعة الأزهر

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، تنزيل من رب العالمين.

١ــ الأعلام تأليف خير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين، بيروت ــ لبنان، الطبعة الخامسة، مايو ١٩٨٠م.

٢ــ البردة للإمام البوصيري، شرح الشيخ إبراهيم الباجوري، تعليق الشيخ عبدالرحمن حسن محمود، ط مكتبة الآداب.

٣ــ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير تأليف الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط دار القلم للتراث.

٤ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ط المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

٥ــ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، نقله إلى العربية د/ عبدالحليم النجار، ط دار المعارف، ط خامسة، (بدون تاريخ).

٦ــ تاريخ الأدب العربي، د/ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، الأندلس، ط دار المعارف، الطبعة الثانية.

٧ــ تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (مصر)، د/ شوقي ضيف، ط دار المعارف، الطبعة الثالثة.

٨ــ تتمة يتمية الدهر في محاسن أهل العصر، تأليف أبي منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري، شرح وتحقيق د/ مفيد محمد قميحة، ط دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط أولى عام ١٤٠٣هـ ــ١٩٨٣م.

٩ــ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، تأليف سيد قطب، ط دار الشروق.

١٠ــ ديوان الإمام علي ﷺ، تحقيق مركز البيان العلمي، الناشر مكتبة الإيمان، المنصورة، ط أولى، عام ١٤١٩هـ ــ١٩٩٩م.

١١ــ ديوان البهاء زهير، شرح وتحقيق محمد طاهر الجبلاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، الطبعة الثانية.

١٢ــ ديوان حافظ إبراهيم، شرح وترتيب أحمد أمين ــ أحمد الــزين ــ إبــراهيم الإبيــاري، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، عام ١٩٨٠م.

١٣ــ ديوان الحطيئة، شرح د/ يوسف عيد، ط دار الجيل، بيروت.

١٤ــ ديوان ابن الرومي، شرح الأستاذ/ أحمد حسن بَسَج، ط دار الكتب العلميــة، بيــروت، لبنان، ط أولى عام ١٤١٥هـ ــ١٩٩٤م.

١٥ــ ديوان ابن الرومي، تحقيق د/ حسين نصار، ط دار الكتب العلمية، عام ١٩٧٤م.

١٦ــ ديوان شوقي، شرح د/ أحمد محمد الحوفي، ط دار نهضة مصر.

١٧ــ ديوان أبي الصوفي سعيد بن مسلم العُماني، تحقيق د/ حسين نصار، ســلطنة عُمــان، وزارة التراث القومي والثقافة، ط عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٨ــ ديوان ابن عربي للشيخ الأكبر أبو بكر محيي الدين بن عربي الحاتمي المتــوفى ســنة ٦٣٨هـ ، قدم له وعلق عليه محمد ركابي الرشيدي، ط دار ركابي للنشر، القاهرة.

١٩ــ ديوان المعاني للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري عن نسخة الإمامين العظيمــين الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي مع مقابلة المشكل بنسخة المتحــف البريطاني، ط مكتبة المقدسي، القاهرة.

٢٠ــ ديوان ابن المعتز، شرح د/ يوسف شكري فرحات، ط دار الجيل، بيروت، ط أولى عــام ١٤١٥هـ ــ١٩٩٥م.

٢١ــ ديوان النابغة الجعدي، تحقيق د/ واضح الصمد، ط دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعــة الأولى عام ١٩٩٨م.

٢٢ــ ديوزان النبهاني للشاعر سُليمان بن سُليمان النبهاني، سلطنة عُمــان، وزارة التــراث القومي والثقافة، ط ثانية عام١٤٠٤هـ ــ١٩٨٤م،ط آمون للطباعة.

٢٣ــ ديوان أبي نواس شرح الأستاذ علي فاعور، ط دار الكتب العلميــة، بيــروت، لبنــان، ط أولى عام ١٤٠٧هـ ــ١٩٨٧م.

٢٤ــ شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبدالرحمن البرقــوقي، ط دار الأندلس، الطبعة الثانية عام ١٩٨٣م.

٢٥ــ صحيح البخاري تأليف أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَرْدِزْبَه الجُعفي البخاري، ط وزارة الأوقاف، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٦هـ ــ١٩٨٥م.

٢٦ــ لسان العرب لابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور، تحقيق الأساتذة: عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، ط دار المعارف.

٢٧ــ مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، ط دار القلم، بيروت، لبنان.

٢٨ــ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، تحقيق د/ عبدالعظيم الشناوي، ط دار المعارف، الطبعة الثانية.

٢٩ــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تأليف الشيخ محي الدين أبي محمد عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي، ط بريل مدينة ليدن عام ١٨٨١م.

٣٠ــ معجم الشعراء للإمام أبي عبيد الله المرزباني، صححه أ.د/ ف.كرنكو، ط دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، عام ١٤١١هـ ــ١٩٩١م.

٣١ــ معجم الشعراء للمرزباني، لأبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، تقديم أ.د/ محمود علي مكي، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٣٢ــ المعجم الوجيز، ط وزارة التربية والتعليم، عام ١٤١٤هـ ــ١٩٩٣م.

٣٣ــ منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ط دار الشروق.

٣٤ــ نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، د/ عبدالرحمن رأفت الباشا، تقديم فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي، ط دار الأدب الإسلامي.

٣٥ــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت، عام ١٣٨٨هـ ــ١٩٦٨م.

٣٦ــ نهج البردة، نظم أمير الشعراء أحمد شوقي، توضيح الشيخ سليم البشري، ط مكتبة الملك فيصل الإسلامية.

٣٧ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق د/ إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت، لبنان.